
روايات مصرية للجيب
31
فانتازيا
اسمه أدهم
Looloo
www.dvd4arab.com
د. أحمد خالد توفيق

مقــدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعيًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

• شكر خالص للدكتور (نبيل فاروق) ، الذى سمح لىَ باستعارة (أدهم صبرى) من أجل هذا الكتيب . كما أنه رفض بشدة أن يطالع القصة قبل طباعتها كما اقترحت أنا ، لأنه يمقت ممارسة دور الرقيب ..

أعرف أنه سيتحملنى بصبره المعهود ، لأنه لولا أهمية (أدهم صبرى) ونجاحه ما ولد هذا العمل ، وليت العجوز (رفعت إسماعيل) يبلغ درجة الأهمية التى تتيح له استحقاق كتيب مماثل !

• شكر آخر للصديقة الكريمة (إيمان زكريا) التى أعدت لى دراسة مرهقة عن عالم (أدهم صبرى) المتشابك ، الذى كنت أحتاج إلى سنوات كى أعرف تفاصيله كما يعرفها قراء (رجل المستحيل) المخضرمون . فلولا هذا الجهد منها لما كان بوسعى تقديم هذا الكتيب ، ولربما أطمع فى أن تعد دراسة عن (ملف المستقبل) يومًا ما !

١ـ اسمه (أدهم) ..

هذه المرة لم تغادر (عبير) عالم (فانتازيا) ..

لا تدرى لذلك سببًا ، لكن القطار تأرجح بها مسافة صغيرة .. ربما لمدة عشر دقائق ، ثم وجدت نفسها أمام مدينة عملاقة تحيط بها الأسوار ، وهناك الكثير من الصخب ينبعث منها ..

كانت هناك طائرة هليكوبتر ترتفع فوق الأسوار ، وهى تحمل ـ بالمعنى الحرفى للكلمة ـ رجلاً وسيمًا يتعلق بعجلاتها ، ويطلق الرصاص من مسدسه على مجموعة من العملاء يعتلون السور .. كيف عرفت أنهم عملاء ؟ هذا سهل .. العملاء يسهل تمييزهم ..

ثم وثب من فوق السور فارس أندلسى قوى البنيان يمتطى حصانًا عربيًا أبيض ، وانقض على مجموعة من جنود الفرنجة يحتشدون فى الخارج .. وفوق السور وقف مجموعة من رجال الشرطة العلمية يطلقون بنادق الليزر .. وغير هذا كثير ..

قالت للمرشد فى انبهار :

ـ « أين أنا يا مرشد ؟ »

قال وهو ينظر خارج النافذة :

ـ « هذا عالم د. (نبيل فاروق) طبعًا .. لقد أبدع مئات الأفكار ، حتى صار علينا أن نحيط أعماله بسور خاص .. الحقيقة أن أعماله من الأمثلة النادرة لأدب المغامرة المكتوب بالعربية أصلاً .. إنه قد كتب أكثر من خمسمائة عنوان ، وكتب فى كل الموضوعات تقريبًا .. وعلى كتاباته تربت عدة أجيال من قارئى العربية وشكلت وجدانهم .. الحقيقة أنه شديد الأهمية إلى حد لا يوصف .. (دستويفسكى) نفسه لم يؤثر فى كل هذا العدد من القراء ، خاصة فى سن الشباب حيث التكوين الأول للطين اللين .. والملاحظة الصادقة هى أن كل شاب يجرب الكتابة يبدأ بتقليد أسلوب د. (نبيل فاروق) المميز .. المميز جدًا .. »

قالت له فى حماسة :

ـ « أوقف القطار .. أوقفه ! »

فشد الحبل وانتظرت (عبير) حتى كف صرير العجلات ، ثم عادت تسأل :

- « هل لو دخلت هنا أرى كل قصصه فى مغامرة واحدة ؟ »

ابتسم فى تهكم :

- « مستحيل طبعًا .. لابد من عشر مغامرات على الأقل حتى تزعمى أنك رأيت الكثير .. فقط الكثير .. يمكنك على كل حال أن تبدئى بعالم (رجل المستحيل) .. إنه يضمن لك مغامرة مسلية .. وهو النموذج الرائد الوحيد لأدب الجاسوسية فى العربية ، لو استثنينا أعمالاً معدودة للمرحوم (صالح مرسى) .. وعلى كل حال هناك كثيرون يقلدون رجل المستحيل الآن .. دعك ممن يسرقونه بالكامل ويكتفون بكتابة أسمائهم على الغلاف .. »

قالت فى ذكاء :

- « إنه (جيمس بوند) العربى .. »

تقلص وجهه فى ضيق وغمغم :

- هذا يدل على أنك تتمتعين بعقل دجاجة كعهدى بك .. إن (أدهم صبرى) شخصية متدينة تعيش بالمثل العليا .. إنه من يتمنى كل منا أن يكونه لكنه لايستطيع .. أما (جيمس بوند) فهو خنزير شهوانى .. وهو يلعب على وتر أن كثيرًا من الناس يحملون ذات الشيطان فى أعماقهم لكنهم لايجسرون على أن يكونوه .. فارق كبير بين من نتمنى أن نكونه ، وبين من لانجسر على أن نكونه .. دعك من أن (أدهم) يداعب الحلم العربى ، بينما (جيمس بوند) يداعب الغرور البريطانى .. ورأيى أنه لو ظفر (أدهم صبرى) بمنتج ثقيل لا يبخل بشىء من طراز (بروكولى) لكانت أفلامه رائعة .. »

ثم أضاف :

- « الشىء الممتع فى الموضوع هو أننى لن أحكى لك نبذتى الشهيرة عن المؤلف وقصة حياته ، لأنك تعرفين هذا عن ظهر قلب .. كل القراء يعرفونها .. ستبدئين المغامرة على الفور .. »

قالت وهى تتنهد فى ارتياح :

- « أخيرًا .. تمنيت أن تريحنى من المحاضرة الأدبية التى تلقيها علىّ فى كل مرة .. »

- « هذا لأن الدرس محفوظ لك فى هذه المرة .. وعلى كل حال أنا أعتبر هذه المحاضرة أهم ما تقدمه لك (فانتازيا) يا رأس الدجاجة .. »

وساعدها على الترجل من القطار ..

ومشيا نحو الأسوار ..

قالت له وهى تلهث محاولة اللحاق بخطواته :

- « لحظة .. من سأكون أنا هذه المرة ؟ لا أريد أن أكون (سونيا جراهام) .. »

قال دون أن ينظر للوراء أو يبطئ من خطواته :

- ستعرفين حالاً .. المهم أنك ستكونين فتاة مخابرات بارعة الجمال .. »

- « لقد مللت أن أكون جميلة فى كل قصة .. دائمًا أنا الجمال يمشى على قدمين .. »

قال فى خبث :

- « أنت تأتين إلى (فانتازيا) من أجل تغيير الواقع .. أليس كذلك ؟! »

ترى ماذا يقصد بهذه العبارة غير المفهومة ؟

* * *

اتجهت[*] نحو السور[**] وهى تجر قدميها[***] بينما المرشد يمشى[****] خلفها ، وهو مازال يحكى[*****] لها أهمية (أدهم صبرى)[******] ، الذى صار حلم كل شاب ، وفتى أحلام كل فتاة فى المنطقة العربية[*******] ..

(★) راجع قصة (خط المواجهة) . المغامرة رقم 87

(★★) راجع قصة (الجاسوس) . المغامرة رقم 63

(★★★) راجع قصة (مهنتى القتل) المغامرة رقم 40

(★★★★) راجع قصة (قبضة السفاح) المغامرة رقم 89

(★★★★★) راجع قصة (مدينة الذئاب) المغامرة رقم 137

(★★★★★★) راجع قصة (الاختفاء الغامض) المغامرة رقم 1

(★★★★★★★) راجع قصة (مذاق الدم) المغامرة رقم 99

هنا توقفت (عبير) وصاحت فى المرشد :

- « ماذا هناك يا مرشد ؟ »

عقد حاجبيه وسألها :

- « هل هناك شىء ؟ »

- « ما كل هذه الهوامش أسفل الصفحة ؟ »

عقد حاجبيه وقال فى كبرياء :

- « هذا يذكر القراء بالكتيبات السابقة .. ظننت هذا مفهومًا .. »

- « وهل يضايقك أن نتوقف عنها قليلاً ما دمنا نتكلم بلا رسميات ؟ »

عقد حاجبيه وقال بنفس الكبرياء :

- « هذه ليست الطريقة المثلى .. لكن .. ليكن .. لن نضع هوامش ثانية إلا الضرورى منها .. »

- « شكرًا .. »

عقد حاجبيه وقال :

- « عفوًا .. »

- « السؤال الآخر هو لماذا تعقد حاجبيك مع كل جملة ؟ »

عقد حاجبيه وقال :

- « نحن قد صرنا الآن فى عالم روائى يعقد كل شخص فيه حاجبيه أو يتلاقيان أربع مرات فى كل صفحة .. إنها عادة خاصة .. »

- « خاصة جدًا .. »

قالت له فى حيرة :

- « ولماذا تكرر آخر كلمتين من آخر جملة ؟ »

عقد حاجبيه وهتف فى غيظ :

- « اسمعى يا فتاة ! إما أن تقبلى قواعدنا هنا أو ترحلى .. هل تريدين أن تجربى قصة (أدهم صبرى) أم لا ؟ »

- « أريد طبعًا .. أنا آسفة .. »

★ ★ ★

عقد حاجبيه وقال وهو يتهيأ للانصراف :

- « هناك نقطة مهمة يجب أن تعرفيها .. لن تظل هذه الأحداث كلها من وجهة نظرك أنت ، لأنها متشعبة معقدة متباينة الزمان والمكان .. لكنك على الأقل ستعرفين ما حدث وما يحدث .. أى أن دورك هنا خليط من دور الشخص الثالث ودور الراوى العالم بكل شىء ..

« لسوف تبدئين الآن .. وستكون مغامرة خطيرة ..

« خطيرة جدًا .. »

وهكذا وجدت (عبير) نفسها وحيدة ..

وحيدة جدًا ..

وحيدة تمامًا ..

تمامًا ..

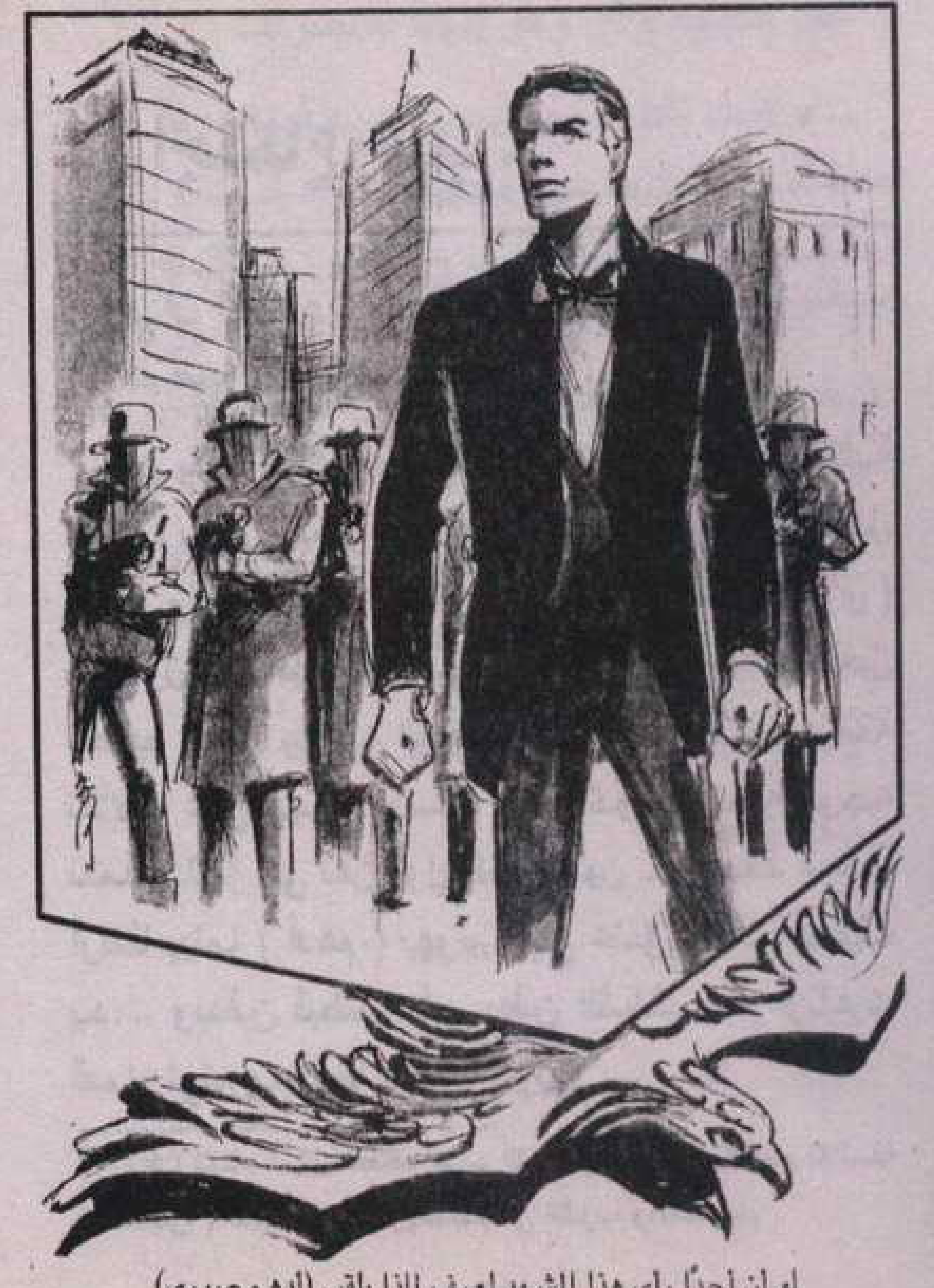
* * *

٢ ـ اجتماع رهيب ..

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

كان يقف هناك جوار حافة الماء[*] ، بينما القتلة العشرة يجرون نحوه ملوحين بمديهم وسيوفهم .. كل من يرى المشهد يمكنه أن يعرف أن (أدهم صبرى) سيتحول إلى عجين أو لحم مفروم ، لكن رجل المستحيل العظيم احتفظ بهامته الشامخة ، وابتسم ابتسامة واثقة تلألأت على وجهه الوسيم ، ثم كور قبضته ووجه لكمة عاتية إلى ذقن أول المهاجمين .. سقط الرجل أرضًا بينما (أدهم) يهوى على عنق الآخر بسيف يد .. ويدفن قبضته فى بطن الثالث ، ثم ارتفعت قدماه ليضرب بهما اثنين آخرين ..

(*) الماء سائل شفاف عديم اللون والرائحة والطعم اكتشفه (كافنديش) عام 1815 .. ويستخدم فى الشرب والاستحمام .



لو ان أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

وهذه من معجزات (أدهم صبرى) الشهيرة .. إنه يستطيع أن يقاتل بينما أطرافه الأربعة كلها فى الهواء فهو لا يحتاج إلى نقطة ارتكاز .. وسرعان ما سقط القتلة العشرة والدم ينزف من كل فتحة فى وجوههم .. الطبيعية منها وتلك التى تكونت من أثر الضربات ..

أخيرًا بدأت علامات الخدوش تظهر على الشاشة معلنة انتهاء الشريط(*) ، وبالفعل فرغ الشريط فلم تبق إلا شاشة مضيئة .. لكن أحدًا من الجالسين لم يجد فى نفسه القوة كى ينهض ويغلق آلة العرض .. فلم يعد من صوت إلا طرف البكرة وهو يضرب شباك العرض مرارًا وتكرارًا ..

كانت هناك أصوات بكاء مخنوق .. كان هناك من يحاول التظاهر بأنه لم يبك تأثرًا لكن صوته فضحه .. فى النهاية ، ولما كانت هذه من المرات القليلة التى لا يجد نفسه مخطوفًا فيها ، فقد تكلم (قدرى) بصوت مختنق .. قال وهو يعقد حاجبيه :

ـ « يجب أن نقبل الحقيقة هذه المرة يا رفاق .. لقد مات (أدهم) ! »

(★) الشريط : خامة من السليلويد يتم تصوير الأفلام عليها .

هنا وجدت (عبير) نفسها ـ التى لم تدر من هى أصلاً ـ تصيح وهى تنهض :

ـ « مستحيل ! (أدهم) لايموت بهذه السهولة ! »

قالت لها (جيهان) وهى تعبث بمقعدها المتحرك :

ـ « كلنا نموت يومًا ما يا (منى) .. »

إذن هى (منى توفيق) .. جميل .. هذا معقول ويناسب شخصيتها إلى حد ما .. إن دور (منى) على الأرجح لايتجاوز أن تخطف لتكون وسيلة ضغط ، أو تجلب المتاعب على رأس (أدهم) .. هذا كما ترون يتواءم مع شخصية (عبير) إلى حد كبير ..

نظرت (عبير) إلى قدرى وسألته :

ـ « هل يمكن أن تحكى القصة من جديد ؟ »

التهم آخر قطعة فى الشطيرة(*) التى كانت معه وعقد حاجبيه وقال :

(*) الشطيرة عبارة عن شريحتى خبز بينهما طعام آخر .. ابتكرها ضابط البحرية البريطانية (ساندوتش) وسميت باسمه ..

ـ « كان المشهد مريعًا ..

« مفزعًا ..

« بحق ... »

* * *

كان شعار المؤتمر هو (يا جاسوسى العالم .. اتحدوا) ..

وكان يقام فى إحدى العواصم الأوروبية التى لن نذكر اسمها هنا كى لايقاضونا ، لكن عدسات التلفزيون كانت هنالك .. وكان من المعروف لكل فرد أن هذا المؤتمر يضم أخطر جواسيس الأرض ، لكن القاعدة الغربية هى : إنهم يقولون .. ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون .. ، وقاعدة أخرى هى : دعه يعمل .. دعه يمر ، وقاعدة ثالثة تقول : عش ودع غيرك يعيش .. وقاعدة رابعة ....

دعنا من هذا كله ، ولنر ما يحدث فى مدخل هذا المؤتمر ..

كان الناس يقفون ممسكين بعلب البوب كورن وعلب المشروبات الغازية ، وهم يحملون اللافتات التى ترحب بالجواسيس ، وراحوا يتدافعون كأنهم أمام أحد العروض الأولى لفيلم سينمائى ، حيث ينتظر الناس بالساعات كى يروا النجوم ..

فى البدء جاء رجال منظمة العقرب Scorpion بثيابهم المميزة التى تحمل شعار العقرب الذهبى الصغير على العروة ، وسياراتهم التى طبع عليها ملصق العقرب[*] .. ولقد تصايح الناس وهم يرونهم ينزلون من السيارات : ما هذا ؟ ألم تنسف جزيرتهم بالكامل[**] ؟

لكن الحقيقة كما يعرفها الناس أن هؤلاء القوم لايموتون أبدًا .. فقط هم يعطون انطباع أنهم ماتوا ، لكنهم يظهرون دائمًا حيث وحين لا ينبغى أن يظهروا ..

(*) راجع قصة (أرض الأهوال) المغامرة رقم 13

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) المغامرة رقم 84

سيارة سوداء مرعبة كأنها سيارة الشيطان لو كان يركب سيارات تقدمت بسرعة لتدهس ثلاثة من المشاة فصاح الواقفون فرحًا وانبهارًا .. ثم انفتح الباب لتخرج منه امرأة جميلة .. جميلة ؟ لا .. إن الحروف لا يمكن أن تصف هذا المعنى الجديد .. هناك الجمال ، وهناك ما هو أجمل من الجمال ذاته بمراحل .. خرجت من السيارة وخرج وراءها فتى فى مقتبل العمر ، قالت له وهى تساعده :

ـ « هلم يا (سولومون) يا حبيبى .. »

ثم طوحت بالفراء الثمين الذى تحمله إلى كتفها ، ورأى الناس فى يدها مدفع (عوزى) صغيرًا .. انحنت لتحدث من يقود السيارة .. قالت له بصوت بارد وضحكة تشبه ضحكة الأفعى لو كانت الأفاعى تضحك :

ـ « الآن أنت تعرف سر مجيئى إلى هنا ، وتعرف أن السر إذا عرفه اثنان لم يعد سرًا .. »

ثم دست فوهة المدفع فى النافذة وأفرغت بضع طلقات ..

الآن كان الدخان يتصاعد من النافذة بكثافة .. فتأبطت يد الفتى الصغير ، وأعادت إخفاء سلاحها تحت الفراء الثمين ، واجتازت جموع الناس المتحمسة وهى تبتسم برقة ..

قال قائل إنها (سونيا) .. (سونيا جراهام) عدو (أدهم) اللدود ، فرد عليه آخرون بأنه أحمق .. (سونيا) ماتت وشبعت موتًا(*) ..

قال القائل :

- « وهل يموت أحد فى عالم الجواسيس ؟ »

حقًا لم يستطع أحد أن يجيب ..

سيارة أخرى من السيارات الرهيبة هذه المرة تحمل علامة المنجل الروسى .. سورعان ما توقفت لينزل منها (إيفان إيفانوفتش) زعيم المافيا الروسية الذى لم يكلف نفسه بتحية الجماهير .. فقط راح يمضغ سيجارًا غليظًا ، ثم تقدم يتبعه رجال أقرب إلى الدببة منهم إلى البشر ..

(★) راجع الأعداد من 1 إلى 128 ..

بعدها بثانية خرج من السيارة رجل آخر هو أخوه (يورى إيفانوفيتش) الذى لم يكلف نفسه بتحية الجماهير .. فقط راح يمضغ سيجارًا أغلظ ، ثم تقدم يتبعه رجال أقرب إلى الأفيال منهم إلى البشر ..

وبعدها دوى انفجار مخيف من السيارة .. وتناثرت الأشلاء فى كل صوب .. إن الرجل مازال كعادته لايترك شهودا ..

يالهذه المافيا الروسية ! هؤلاء بقايا عهد (بيريا) والقمع الستالينى الذين انفلت عيارهم بعد زوال قبضة الحزب الحديدية ..

بعد هذا - وبعدما نقلت الإسعاف بقايا القتلى - وصلت سيارة (موشى حاييم دزرائيلى) .. رجل المخابرات الإسرائيلية البارد كالثلج والذى مات منذ فترة .. إن هذا الاجتماع يعج بالموتى كما ترون ..

خرج من السيارة ووقف بقامته الفارعة ينظر إلى الجماهير ، ثم قال فى ضيق :

- « أغبياء ! أغبياء ! »

ثم توارى عن الأنظـار .. توطئـة لأن يصل مستر (إكس) .. وهو جدير باسمه ، لأن أحدًا من الناس لم يستطع رؤية وجهـه فى أية إضاءة من أى نـوع .. حتى والأضواء ساطعة مباشرة تجد وجهه مكسوًا بالظل ..

ثم وصلت سيارة صاخبة قائدها يخرج ساقه الملفوفة فى حذاء طويل العنق من النافذة ، ولا يكف عن إطلاق الرصاص فى الهواء .. والصراخ : ووه ! واو ! يييييييييييى !

وانفتح الباب عن قبعة مكسيكية عملاقة من طراز (سومبريرو) ، ثم ظهر ذلك المجنون المكسيكى (بانشو سيلارز) ملوحا بزجاجة (تاكيلا) .. يبدو أنه مات من قبل لكن هذا لا يهم كما قلنا ..

أطلق بعض الرصاص فى الهواء ليشعل حماسة القوم ، ثم صاح :

ـ « أميجوس ! هاستا لا فيستا ! ييييييييييييييى !! »

ثم دخل المقر ومعه خمسة أوغاد من رجاله ..

وهكذا بدأ الاجتماع ..

الاجتماع الذى سيقرر ..

أشياء خطيرة ..

خطيرة ..

جدًا ..

* * *

يمكن القول إن رئيس الجلسة أو الـ Chairman كان هو مستر (إكس) ذاته ، والذى لم يستطع أحد رؤية وجهه فى أية إضاءة ..

فى البداية تحسس مكبر الصوت(*) ونقر عليه ، ثم قال للجالسين :

ـ « هل تأكدتم من أن القاعة مؤمنة ؟ »

كان هناك عدد من الحراس الشخصيين صلع الرءوس بالنظارات السوداء ، والأجساد الضخمة التى تذكرك

(*) مكبر الصوت هو جهاز لتكبير الصوت ..

بأناقة الغوريلا ، وقد دس كل منهم سماعة ذات سلك لولبى فى أذنه ، لهذا ظلوا صامتين ينظرون له فى برود ..

- « إننى أحدثكم يا حمقى ! انزعوا هذه السماعات لتسمعونى .. »

سارع الرجال بانتزاع السماعات مرتبكين ، وقال له أكبرهم حجمًا :

- « معذرة يا سيدى .. القاعة مؤمنة .. »

- « لا بق Bugs ؟ »

- « لا بق يا سيدى .. »

- « لا كاميرات خفية مثبتة فى عروات السترات أو فى حلى النساء ؟ »

- « القاعة مؤمنة يا سيدى .. »

نظر الرجل باتجاه الحسناء التى نعتقد أنها (سونيا جراهام)(*) :

(*) راجع لوحة الفنان (إسماعيل دياب) صفحة 19 فى قصة (الخطر) .. المغامرة رقم 92 .. بالتأكيد هذه الجالسة فى المؤتمر هى (سونيا) ..

- « هل من متنكرين ؟ »

هزت يدها وهى تضع ساقًا على ساق فى لامبالاة ، وقالت :

- « بصمات الآذان كلها صحيحة .. الرجل ليس هنا .. »

إن (سونيا) خبيرة فى تمييز (أدهم صبرى) من بصمات أذنيه .. الكل يعرف هذا ..

- « إذن نبدأ .. »

يسود صمت رهيب ، وطبعًا يعرف كل واحد من الجالسين أن الآخرين يسجلون ما يدور .. لِمَ لا ؟ أليس اجتماع جواسيس ؟

بدأ الرجل بالكلام ببطء وبعبارات راسخة :

- « جميعكم هنا . لقد واجهكم ذلك الرجل المدعو (أدهم صبرى) من قبل ، ووجه لكم ضربات ساحقة .. ولقد تصرف بعضكم بدافع الانتقام مثل (سونيا جراهام) والبعض بدافع الشر المجرد .. لكننا جميعًا حاولنا أن ندمر رجلاً واحدًا وفشلنا .. حتى هذه اللحظة على الأقل .. »

صاح أحد الجالسين من منظمة العقرب :

- « ولن نفشل ثانية !! »

عاد مستر (إكس) يتكلم بذات التؤدة السمجة :

- « ربما ننجح وربما نفشل ، لكن الحقيقة هى أن (أدهم صبرى) قد فاز بشعبية عظيمة .. ويعرف الأبوان العربيان أن طفلهما قد تعلم القراءة بمجرد أن يمسك فى يده بأول قصة من (رجل المستحيل) .. هذه خطوة حتمية فى النمو ، بعدها تظل هذه القصص معه فى مراحل نموه التالية ، ومعها يتعلم أشياء سلبية .. كراهية (إسرائيل) تنتقل من جيل إلى جيل ، وكنا نعتمد على النسيان كى يمحوها .. الشعور البغيض بالتفوق والتميز لدى العرب يستمر وكنا نريد أن نسحقه .. دعك من حقيقة أن قراءة (جيمس بوند) - رمز عبقرية المخابرات البريطانية - تتدهور من جيل لآخر .. الحقيقة هى أن (أدهم صبرى) قد آذانا كثيرًا ، وعلينا أن نجد مخرجًا من هذا ..

« الحقيقة التى أتعشم ألا ننساها كذلك ، هى أننا لانقاتل من أجل إنقاص تعداد أعدائنا العرب - فهم كثيرون جدًّا - ولا من أجل الكسب ، ولكننا نقاتل من أجل تدعيم القيم الكريهة ومن أجل هدم المبادئ .. هذه هى القاعدة الذهبية التى على هديها نتحرك والتى يحطمها (أدهم صبرى) كل يوم .. »

نهض الإسرائيلى البارد (موشى حاييم دزرائيلى)(*) ، ونظر إلى الجالسين من حوله فى لا مبالاة ، ثم قال وهو يتحسس صدره :

- « الحقيقة التى نعرفها جميعًا هى أن القضاء على (أدهم صبرى) مستحيل .. لقد حاولنا كل شىء لكن الرجل بارع حقا .. أقول هذا وأنا أتحسس موضع رصاصته التى اخترقت صدرى وكادت تصيب قلبى لولا طولى الفارع الذى جعل قلبى يميل إلى اليمين .. علينا أن نلعب أوراقنا بشكل صحيح وعلى أساس ما نعرفه بالفعل .. لن تكون الدنيا أوهامًا .. لن نقتل الرجل جسديًّا لكننا بالتأكيد ننوى قتله معنويًّا .. »

(*) راجع قصة (الجاسوس القتيل) المغامرة رقم 200

وتلاقى حاجباه وضحك ..

وضحك ..

وضحك ..

وضحك ..

وضحك ..

* * *

٣ - مهمة مستحيلة ..

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

لقد هبطت طائرة الهليكوبتر فوق ناطحة السحاب الأمريكية ، التى يبدو أنها معدة لهذه الأمور من قبل ، لأن علامة X كبيرة كانت هناك .. وكانت الشمس الساطعة تنعكس على الزجاج ؛ فلا تجرؤ على النظر دون أن تحترق عيناك ..

ببطء راحت تتأرجح ، وبخشونة راحت تهبط فوق السطح ، ثم انفتح بابها وظهر ثلاثة رجال من الطراز الذى ينزل من الهليكوبتر جريا(*) .. أنتم تعرفون هذا الطراز الذى تعجُّ به الأفلام الأمريكية ..

كان هناك رجلان يحمل*كل منهما بندقية آلية ويقف بانتظار القادمين ..

(*) راجع قصة (سم الكوبرا) المغامرة رقم 51

الرجل الأول من راكبى الهليكوبتر ، والذي يتطاير معطفه فى الهواء كان هو من بدأ الكلام ..

قال وهو يعقد حاجبيه :

ـ « أنا (سيرجى سيرجيوف) عميل المخابرات الروسية (كى جى بى) .. »

صافحه أحد الرجلين وقال :

ـ « وأنا الكولونيل (سميث) .. عميل الاستخبارات المركزية الأمريكية .. إنه منتصف الليل الآن وقد حان وقت العمل .. »

طبعًا كان كل واحد منهم يعرف أن هذا ليس اسم الآخر ولا عمله ولا شكله .. بالإضافة إلى أن هذا ليس منتصف الليل طبعًا .. إن التمويه طبيعة فى عمل المخابرات كما تعلم ..

نظر العميل الروسى حوله ، وقال منبهرًا :

ـ « (لوس أنجلوس) .. هه ؟ مدينة كبيرة عظيمة .. لكنى لم أرها قط إلا من على الأرض .. »

قال الكولونيل (سميث) بلهجة غامضة :

ـ « ولسوف تراها ثانية .. »

وقبل أن يفهم أحد الرجال ما يحدث ، أخرج بندقيته الآلية وأفرغها فى صدر العميل السوفييتى ..

وكانت ضربة مفاجئة ..

قاتلة ....

* * *

قال المستر (إكس) للمجتمعين :

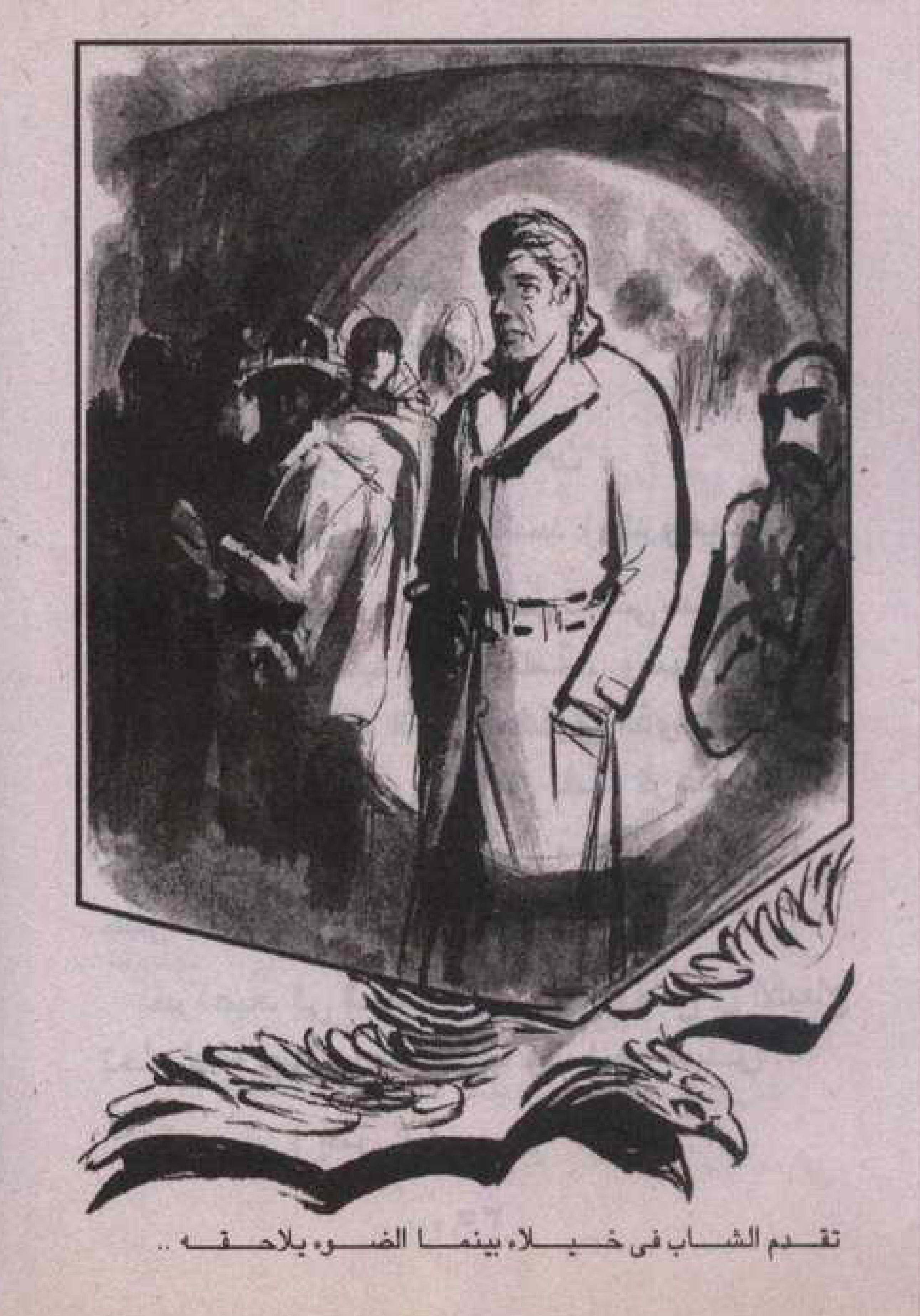
ـ « الآن أرجو أن ترحبوا بالسيد (رائد وهيب) .. »

واتجهت الأضواء كما فى السيرك إلى مدخل القاعة الجانبى ، ليظهر شاب فارع القامة .. وسيم كموديلات الإعلانات .. له ذاك الذقن المشقوق الذى يميز أبطال القصص المصورة .. واثق من نفسه كرعاة البقر ..

تقدم الشاب فى خيلاء بينما الضوء يلاحقه .. خطواته نشيطة توحى بطاقة لا نهاية لها ..

أخيرًا صعد إلى المنصة ، وكان من الواضح أن الانبعاج تحت إبطه ليس ورمًا لمفاويًا وإنما هو مسدس ..

قال مستر (إكس) :



تقدم الشاب فى خيلاء بينما الضوء يلاحقه ..

- « (رائد وهيب) هو النموذج الذى سنتبناه .. سنقدمه للشاب العربى فى إطار جديد يجذب انتباهه .. وطبعًا نحن جميعًا نفهم أن (رائد) ليس سوى رجلنا .. إنه إسرائيلى منحناه كل الأوراق التى تدل على أنه عربى .. سنعطيه انطباع رجل العمليات الخاصة العربى الأنيق الوسيم .. ولسوف تعلق الفتيات صورته فى حجراتهن ، ولسوف يضع كل شاب عصا مكنسة بها ثقلان من الأسمنت(*) فى غرفة نومه .. وينهض كل صباح مبكرًا ليرفعها عدة مرات ، على أمل أن هذا هو الطريق الذى سيقوده إلى أن يكون مثل (رائد) .. ومن خلال هذا الإعجاب سيصدقونه فى كل شىء وينسون كل ما يمثله (أدهم صبرى) .. »

هنا نهض الروسى (إيفان) وهو يمضغ سيجاره الغليظ ، وقال :

- « لحظة .. ألا يستدعى هذا أن يحقق بطولات ؟ »

- « طبعًا .. ولهذا جمعتكم هنا .. »

ثم دار بعينيه بينهم وقال :

(*) الأسمنت مادة تستخدم فى البناء ، بعد خلطها بالماء وتركها لتجف ..

ـ « سترتب كل منظمة منكم بضع عمليات تهزم فيها ، ويعلن فى كل مرة أن (رائد) هو الذى انتصر .. وبعد عام سيتحول الشباب إلى قراء لقصص (رائد وهيب) .. هل من أسئلة ؟ »

هنا نهضت (سونيا جراهام) ـ لابد أنها هى ـ وقالت فى ضيق :

ـ « لحظة .. إن أذنى هذا الفتى لاتريحاننى كثيرًا .. »

وتقلص وجهها فى وحشية وقالت :

ـ « هذا الفتى هو (علاء) صديق (أدهم صبرى) متنكرًا وهو يعبث بنا ! »

ومن ثوبها خرج المدفع (العوزى) وأطلقت سيلاً من الرصاص ..

على (علاء) ..

صديق (أدهم صبرى) ....

★ ★ ★

تسلل الرجل إلى مكتب الوثائق السرية الخاص بالـ CIA أو وكالة الاستخبارات المركزية .. نظر حوله فى توتر .. كانت عدسات الدائرة التلفزيونية المغلقة موجهة نحوه ، لكنه كان يقوم بتشغيل الجهاز الذى يبث صورة مستمرة تمثل قاعة فارغة ..

وقف أمام القفل الصوتى ، وأخرج جهاز تسجيل .. قام بتشغيله فانبعث صوت مدير الاستخبارات شخصيًا يقول :

ـ « افتحوا لى .... »

كليك .. أغلق الجهاز قبل أن تكتمل العبارة (.. عقولكم جيدًا ..) ..

ثم أخرج قفازًا من المطاط حشره حول كفه .. كان القفاز يحمل بصمات مدير المخابرات ، وقد تمت إعادة نقشها على المطاط ؛ فألصق كفه على الماسح

الضوئى ، وانتظر حتى مر الإشعاع ماسحًا كفه بالكامل ، ثم دوّى الصوت المعدنى :

- « مسموح لك بدخول هذا القطاع .. »

انفتح الباب فدخل ..

استغرق الأمر بضع دقائق حتى فرغ من ملء جيوبه بالميكروفيلم ، ثم بدأ ينسخ محتويات الحاسبات الآلية على قرص عالى السعة ..

تنفس الصعداء واتجه نحو الباب ليغادر المكان ، وفى هذه اللحظة شعر بشىء صلب يلامس ظهره بين لوحى الكتف ..

كان هذا حارسًا يصوب نحو ظهره فوهة مسدس ، ويأمره فى غلظة :

- « استدر ببطء .. »

وعرف أنه وقع فى شرك ..

شرك مخيف ..

★ ★ ★

استدار العميل السوفييتى ليضرب البندقية الآلية ، ثم يركل صاحبها ، الذى لم يجد وقتًا إلا ربع ثانية ليقول :

- « مستحيل .. أنت ميت يا رجل .. لقد أفرغت خمس رصاصات أو أكثر بين ضلوعك ، ومن المؤكد أنك لاتلبس قميصًا واقيًا للرصاص ، كما أن هذه الرصاصات ليست (فشنك) ، فقد قتلت بها رجلين من نصف ساعة .. كما أنك لا تبدو شبحًا .. إن هذا الموقف غير طبيعى وغير معتاد ، ولا أجد له أى تفسير من أى نوع ، ويخيل إلى أن الأمر كله كابوس .. صحيح أن الجواسيس البارعين فى القصص لايموتون أبدًا ، لكنى عميل فى نفس القصص .. هل تفهم ما أعنيه ؟ الرصاص على شاشة السينما لايقتل المشاهدين لكنه يقتل الأشخاص داخل الفيلم ، وهذا يعنى أنه من المفروض أن يقتلك رصاصى لأن نفس المنطق يسرى علينا .. و ... »

كانت هذه هى الكلمات الأخيرة التى لم يجد الكولونيل وقتًا ليقول ما هو أكثر منها ، وهو يهوى من فوق ناطحة السحاب ..

ويصرخ ..

يصرخ ..

يصرخ ..

هنا فقط وثب الرجل الثانى ـ صديق الأول ـ إلى الوراء ، وقذف بقنبلة يدوية على العميل الروسى ، وهو يقول :

ـ « سأدبرك يا رجل .. »

وهوت القنبلة لتصدم الروسى فى صدره ..

وكان الانفجار مخيفًا ..

و ....

وقاتلاً ....

* * *

وسألت (عبير) ـ التى صارت (منى) ـ صديقتها القعيدة (جيهان) :

ـ « كل هذا جميل .. لكن لماذا لا تحكون كل موقف حتى نهايته ؟ ألاحظ أن كل موقف ينتهى برصاصة أو انفجار ثم أجد أنكم تحكون موقفًا آخر .. »

قالت لها (جيهان) التى لم تنس بعد أنها سلبتها (أدهم) لأسباب غير مفهومة :

ـ « صه يا حمقاء .. هذا هو أسلوب القفلات أو (كليف هانجرز) .. مع الكثير من المونتاج المتوازى .. كل هذه الأحداث تتم فى وقت واحد ، بينما تتنقل الكاميرا بينها .. هذا يتركك متوترة بانتظار ما يحدث ، فقط لتدخلى فى حادث مثير جديد .. »

ـ « لكنى نسيت من الذى .... »

عقدت (جيهان) حاجبيها وقالت :

ـ « ش ش ش ش ش ش ! دعى (قدرى) يكمل القصة .. »

* * *

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا اختاروا (رائد وهيب) كى يكون بديلا لرجل المستحيل .. لمّا انطلقت الرصاصات نحوه وهو على المنصة ، سارع إلى انتزاع عارضة من الفولاذ كانت هناك .. لاتسألنى من أين جاء بعارضة من الفولاذ ؛ لأن هذه ليست مشكلتى .. وضعها أمام صدره وجسده فارتطمت الرصاصات بها وسقطت مرتدة ، وقبل أن يفهم أحد ما حدث كان قد تدحرج على الأرض فى رشاقة ، وأخرج مسدسا صغيرًا دقيقًا أطلقه على (سونيا) .. والحقيقة هى أن الرصاصة لم تكن موجهة لها بل إلى مدفع (العوزى) فى يدها ..

وسرعان ما طار المدفع فى الهواء ، وأمسكت يدها وهى تعوى كالذئاب من الألم ..

- « معصمى ! كدت تحطمه أيها الأبله .. »

طلقة أخرى هشمت رأسها فوقفت لحظة ترمق مايحدث فى غباء ثم سقطت أرضا ..

قال (رائد) وهو ينفخ الدخان من الفوهة فى رشاقة :

- « معذرة يا جميلتى .. لكننى لا أجيد استعمال اللياقة حين تنطلق رصاصات نحو رأسى .. »

هنا فقط دوت القاعة بالتصفيق .. لقد كان أداء (رائد) مبهرا ، ولا يمكن فهمه إلا بإعادة المشهد بالسرعة البطيئة ..

قال له (آلان شيفالييه)[*] بلهجته الفرنسية وهو يلوح بكأس فى يده :

- « بغافووووووو ! أنت باغع حقًا لكنك لم تبغهن لنا بعد صدق أو ظلم هذا الادعاء .. »

قال (رائد) وهو يعيد المسدس إلى قرابه :

- « هذا بعد ما فقدت الكثير من لياقتى .. على كل حال كل رجل مخابرات يعرف جيدًا أن (عادل) صديق (أدهم صبرى) قد مات .. »

(★) راجع قصة (أصابع الدمار) المغامرة رقم 22

قال مستر (إكس) فى حماسة :

ـ « والأهم هو أنك برهنت لنـا على أن (رائد) بـارع بالفعل ، ويمكن أن يحل محل (أدهم) .. تصور أن يكون رجل المخابرات الأكثر شعبية رجلنا نحن .. »

ومن جديد دوى التصفيق ..

* * *

ببطء استدار المتسلل لينظر إلى الحارس ..

كان حارسًا جدًا لو صح التعبير .. بطن كبيرة مترهلـة وقميص أزرق وشيب على الفودين .. وقد رآه يصوب إليه المسدس فى توتر ؛ كمـا لـو كـان لم يعتد هـذه الأمور .. لكن المسدس يعنى أن الأمور مقلقة(*) ..

قال له الحارس فى توتر :

ـ « والآن يا بنى .. أعتقـد أنـه لا يوجد لديك تفسير لتسللك إلى هنا .. »

(*) حقيقة علمية ..

قال المتسلل فى تهكم :

ـ « لو قلت إننى أنتظر المترو لما صدقتنى .. »

لم يرد الحارس ومد يده إلى حزامه ، وأخرج جهاز لاسلكى ، وضغط على الزر ..

فى هذه اللحظة ارتفعت قدم المتسلل ببراعة لتضرب المسدس الذى فى يد الرجل ، ثم ـ بالقدم الأخرى ـ عاجله بركلة جعلته يصطدم بالجدار ..

سقط الحارس فلم ينظر لـه .. يجب أن يفر الآن وبأقصى سرعة ..

صحيح أنه لا يهاب شيئًا لكن يجب أن يعرف المـرء قدراته .. إنه ليس مستعدا لمواجهة جهاز الأمن كله .. وهكذا تأكد من أن كل شىء معه وهرع نحو المخرج ..

هنا دوى انفجار ..

انفجار هائل ..

* * *

حين انقشع دخان الانفجار فوق ناطحة السحاب لم يعد هناك من الروسى إلا بقايا تصلح لتلميع زجاج النوافذ ..

وكـان صوت سرينـة سيارات الدورية يولول فـى الشارع من أسفل ، بعد أن جاءت كل شرطة الولايـة على صوت الانفجار .. وعرف الرجال أن الوقـتِ قد حان للفرار ..

ونظر أحد الرجلين الباقيين إلى هذا المشهد الدامى ، ثم إلى القـاتل الـذى قذف القنبلة ، ثم لشدة الدهشـة هوى على ركبته أمامه فى إجلال وهتف :

ـ « سيدى .. برغم أنك قتلت صاحبى ، فـإن علىَّ أن أعبر لك عن احترامى البالغ .. أنت لا تعرف مـن قتلته ، ولو عرفت هذا لجن جنونـك طربا أو أطلقت الرصاص على رأسك خوفا .. »

قال القاتل وهو يتراجع إلى الوراء :

ـ « ألـم تقـولـوا إنـه (سـيرجى سيرجيوف) من (الكى جى بى) ؟ »

قال الرجل وهو يتأمل الدمار الذى أحدثته القنبلة :

ـ « أنت قتلت رجـل المسـتحيل .. قتلت (أدهم صبرى) !! »

كانت المفاجأة كاملة ....

ومخيفة ..

مخيفة جدًا ..

جدًا ..

* * *

٤ـ ذكريات ..

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

لقد كان رفاقه جميعًا يبكون الآن ، وهو بالفعل مشهد مستحيل .. لو مت أنا فلن تعدم أن تجد من يرقص طربًا أو يكتم ضحكة وحشية .. أما الجالسون إلى المنضدة ـ (منى) و(جيهان) و(قدرى) و(شريف) و(عادل) و(نادية) و(حسام) ـ فكانوا يبكون فى حرقة كأنما مات الآن حالا .. صحيح أن بعضهم مات من قبل ، لكن لا أحد يموت فى قصص الجاسوسية كما قلنا من قبل ..

وقال (قدرى) وهو ينهى قصته :

ـ « وكلنا نعلم الباقى .. »

لقد وصلت الرسالة من (سيرجى كوربوف) عدو

(أدهم) القديم ، الذى صار صديقًا له ، واشترك معه فى تدمير منظمة (الثعبان) التى كونتها (سونيا جراهام) .. كانت الرسالة تقول إن (أدهم) مات فى (لوس أنجلوس) - فى أثناء عملية خاصة لعب فيها دور رجل من الـ (كى جى بى) .. أما قاتله فواحد من رجلين قالا إنهما يعملان مع وكالة الاستخبارات المركزية .. طبعًا كان هذا تمويهًا لأنه لا أحد يقول الحقيقة فى المخابرات أبدًا .. لقد مات أول الرجلين الذى كان يسمى نفسه الكولونيل (سميث) .. لكن (كوربوف) كان هناك ، واستطاع أن يرى (أدهم) يتحول إلى أشلاء بفعل قنبلة تلقاها فى جسده مباشرة ..

صحيح أن (أدهم) مات كثيرًا من قبل لكن الأمر حقيقى هذه المرة ..

قال (كوربوف) : إن (أدهم) كان يلبس سترة واقية من الرصاص من نوع خاص لايمكن ملاحظته ، لكن القنبلة لا تجدى معها السترات الواقية(*) ..

(*) حقيقة علمية .. وقد برهن عليها العالم السوفييتى (فيودور فيودوروف) إذ فجر قنبلة فى نفسه وهو يلبس سترة واقية فمات على الفور .

أما الجزء الأسوأ فى الموضوع ؛ فهو تلك العمليات الناجحة التى راحت أخبارها تأتى من أمريكا وأوروبا عن رجل المخابرات (رائد وهيب) الذى استطاع أن يدمر عدة منظمات ، ويحرق جزيرة كانت مركز تدريب لرجال منظمة العقرب التى بدأت تجمع نفسها ..

أخبار جيدة والمفترض أن تكون سعيدة ، لكن الجميع كان يعرف أنه لا أساس لها من الصحة .. علامات استفهام كثيرة تحيط بهذا الـ (رائد وهيب) ، والأخبار القادمة من مؤتمر الجواسيس غير مريحة .. ثمة من يقول إنه ليس عربيًا ولكن تم تلفيق تاريخ له ، وحين تتعلق قلوب الناس به سوف يصدقون أى شىء .. ويمكنه تمرير أى معتقد ..

قالت (جيهان) وهى تسترخى فى مقعدها المتحرك :

- « الأمور سيئة .. »

وكانت (عبير) قد اندمجت فى دور (منى) تمامًا ، وصارت تشعر بما تشعر به .. لهذا فعلت الشىء الذى تجيده (منى) أكثر من سواه ..

راحت تبكى فى حرقة ..

★ ★ ★

مثل الطيف الجميل راح الجميع يتذكر (أدهم) ..

لقد فرغ الدكتور (أحمد صبرى) شقيق (أدهم) من آخر مريض فى عيادته ، وراح يحصى دخل اليوم .. استغرق هذا ساعتين إلا الربع تقريبًا لأنه كان قد اعتاد ألا يضيع وقته فى عد الجنيهات ..

ما إن فرغ من هذا حتى راح يتأمل ويبكى ..

وإلى ذهنه تداعت صورة (أدهم) صغيرًا حين كان فى الثالثة من العمر ، وحين كان أبوهما رجل المخابرات يعد ابنه ليكون رجل المستحيل(*) ..

كان الأب فى ذلك اليوم قد فرغ من دروس العبرية ، وبدأ يعلم ابنه ذا الأعوام الثلاثة درس اليوم فى الإيطالية .. أعطاه قطعة من (جحيم دانتى) وطلب منه أن يترجمها إلى الألمانية .. وصفع الطفل مرتين لأنه أخطأ فى قراءة كلمة (إنفرنو) .. لقد قرأها (إنفالنو) لأنه ـ الأحمق ـ لا يستطيع نطق حرف الراء بعد .. وصاح فيه الأب :

(★) راجع قصة (ملائكة الجحيم) المغامرة رقم (61) وقصة (الرأس الكبير) المغامرة رقم 233

ـ « خطأ كهذا قد يكلفك حياتك يومًا ما .. »

ثم قام الصغير بتحويل مسرحية (هاملت) لشكسبير إلى اللغة الفنلندية ، وقام بترجمة عدة مقاطع من شعر (بوشكين) الروسى إلى الفرنسية .. وترجم قصيدة (أربعاء الرماد) لـ (إليوت) إلى اللغة السنسكريتية ، ثم ترجمها من السنسكريتية إلى لغة (اليديش) الخاصة باليهود الشرقيين ..

ـ « بابا .. لاص !! »

قالها لأبيه .. وهو يقصد (بابا .. خلاص) فالحقيقة أن الطفل لم يكن قد تعلم الكلام بعد .. وهو ما يدلك على أهمية التعليم من الصغر ..

بعد هذا كان على الصغير أن يقوم بصنع بعض القنابل من مبيدات الحشرات ، وخرج مع أبيه إلى الصحراء كى يتعلم دفن ألغام الدبابات .. ثم قام بتفكيك وتجميع بعض بنادق الـ M-16 ومسدسات (كولت) .. وفى النهاية ارتدى ثياب الجيدو كى يدخل فى صراع دامٍ مع

أبيه .. كان الآن ـ برغم أنه لم يمش جيدًا بعد ـ يجيد الكاراتيه والجيدو والتايكوندو والجيجوتسو والسومو .. كما أنه برهن عن براعة فى استخدام الغازات حين خنق القط .. وقد أهداه أبوه فى عيد ميلاده الثالث قرص سيانيد يخفيه فى ثيابه كى يبتلعه إذا قبض عليه وهى عادة رجال المخابرات الكبار الأكفاء ..

الدرس الأخير قبل العشاء كان فى التنكر ، وكان من المذهل أن ترى الطفل (أدهم) يتنكر ليبدو فى صورة وطول وصوت أبيه .. ثم يصير فى صورة وطول وصوت أمه .. ثم يتنكر فى صورة صرصور ثم وشق الاستبس وعناق الأرض ..

وقالت الأم حين عاد زوجها وابنها من الخارج :

ـ « العشاء جاهز .. لكن ألا ترى أنك تقسو عليه فى سنه الصغيرة ؟ »

قال الأب :

ـ « بل أجعل منه أفضل رجل مخابرات فى التاريخ .. أين الولد (أحمد) ؟ »

- « فرغ من حفظ كتاب (جراى) فى التشريح ، وهو الآن يقوم بجراحة نقل مخ صديقه (رامى) إلى صديقته (لمياء) .. »

ابتسم الأب فى رضا ..

الحقيقة أنه كان من الآباء القلائل الذين يعرفون كيف يربون أطفالهم(*) ..

* * *

أما (منى توفيق) - التى هى (عبير) - فتتذكر فى حزن ..

الحقيقة أنها الفتاة الوحيدة فى العالم التى نالت شرف أن يحبها (أدهم) .. وكانت بالطبع تهيم به حبا وتغار عليه بقوة .. كما أنها كانت تقارن بين ما تملكه هى وما تملكه واحدة مثل (جيهان) التى كانت من أبرع فتيات العمليات الخاصة ، فتجد أن (جيهان) أفضل وأثقل بمراحل .. إن الحب كائن غريب حقا .. أنت لا تحب

(*) نفس المصدر Ibid .

الأجمل ولا الأقوى ولا الأغنى ، بل ببساطة شديدة تحب من تحبه .. تحبه لأنه هو وليس شخصًا آخر ..

هذه الحقيقة كانت تعرفها لكنها لا ترتاح لها كثيرًا ، وتشعر أن قوانين الفيزياء والبيولوجى ستعمل يومًا ما ، ولسوف يميل قلب (أدهم) إلى من تستحقه ..

وهذا أغرب ما فى الأمر .. المفترض أن تكون أسعد الفتيات وأكثرهن فخرا بحب كهذا ، لكنه للأسف لم يزدها إلا تعاسة وقلقًا وتوترًا ..

كانت قلقة بسبب كل شىء .. قلقة على (أدهم) الذى يعمل وسط النيران ولا بد أن يحترق يومًا ما .. قلقة على حبه لأنه يعمل وسط الفاتنات - وكل النساء هنا فاتنات - ومن السهل أن يتغير فى أية لحظة ..

إنها الآن تتساءل لماذا لم يتزوجا بعد كل هذه المغامرات(*) ؟

(*) Ibid .

فى المرة الأولى هى التى رفضت ـ وكانت حكيمة بالفعل ـ لأنها عرفت أن من يعمل عمله لن يعود فى كل مرة .. هناك مرة ما لن يعود فيها ، وهى لن تتحمل ذلك ..

فى المرة الثانية طلب منها الزواج ووافقت .. فقط لتفقد الذاكرة بعدها ، وتنسى وتنسى أنها نسيت .. يبدو أنها تتذكر الآن لكن بعد فوات الأوان طبعًا ..

فى العدد رقم (100) وافقت أيضًا .. لأنها اعتقدت أن العدد (100) آخر الأعداد ويحمل لها مفاجأة سارة من نوع الزواج كما فى الأفلام العربية .. لكن سرعان ما أصيبت بجروح مرعبة ، ونقلت إلى المستشفى .. لا غرابة فى أن هذا العدد سمى بـ (الضربة القاصمة) .. إنها ضربة قاصمة لآمالها ولا مراء .. ويبدو أن هذا العدد كان مجزرة للجميع .. لقد مات (حسام) .. وأصيب (قدرى) فى ذراعه حتى تكلف علاجه نحو المليون من الدولارات .. إن تدمير منظمة (الثعبان) التى أنشأتها (سونيا جراهام) لم يكن هيّنًا ، وقد دفع فريق الشجعان ثمنا غاليًا ..

بعد هذا ـ فى المرة الرابعة ـ نظرت لنفسها فى المرآة فوجدت أنها تحولت إلى ابنة خالة (ميدوسا) .. وقررت أن تضحى بسعادتها من أجل (أدهم) الذى لا يستحق أن يتزوج ابنة خالة (ميدوسا) ..

فى المرة الخامسة والأخيرة طلب منها الزواج ، فصاحت فى عصبية :

ـ « هل تسأل ؟ »

هنا فعل أغرب شىء يمكن أن يفعله رجل يطلب يد فتاة ..

فقد الوعى ..

هكذا أدركت (عبير) أنه لا جدوى من الزواج من (أدهم) لا تدرى إن كانت هناك مرة سادسة أم لا .. لكنها أدركت أن (أدهم) ، كفرسان النتجا أو الرهبان الذين يفقدون تفردهم إذا تزوجوا .. وعلى كل حال هى لا تعتقد أن الزواج من (أدهم) سيجعلها أسعد .. وإلا لكانت سعيدة الآن وهى حبيبته الوحيدة ..

كان القلق على حياته سيعذبها .. وكان - وهذا أسوأ - القلق على حبه سيثير جنونها ..

شيء واحد تعرفه : الحياة ليست لعبة مسلية للترفيه عنها .. هى ليست زبونًا فى مطعم يجب إرضاؤه بأية صورة ، ويؤمن السقاة أنه دائمًا على حق .. إن من أوتى حظها العاثر يجب أن يتحمل .. ولسوف تتحمل ....

* * *

(جيهان) أيضًا كان لديها ما تتذكره ..

مغامرتها كبديلة لـ (منى) مع (أدهم) .. لقد برهنت على أنها بارعة جدًا ذكية جدًا .. بل إنها كانت جميلة جدًا كأية فتاة هنا .. لكن قلب (أدهم) بقى معلقا بـ (منى) لأسباب مجهولة .. يبدو أنه من الطراز الذى لا يحب إلا ما ألفه جيدًا ، وقد خاض 104 كُتَيِّبًا مع (منى) مما جعل (جيهان) غريبة برغم كل شيء ..

لكنها قاتلت كما يجب ، وخاضت حربًا شريفة ضد السنيورا حتى العدد 121 ، ثم أصيبت إصابات بالغة وهى تدافع عن (منى)(*) . إنها نبيلة أيضًا .. لكن حظها قليل ..

طبعًا اتضح أن السنيورا كانت (كلوديا) التى بعثت ثانية بعد خمسين كتيبا كى تحاول السيطرة على العالم ، وهذا ما استطاع (أدهم) أن يمنعه بنجاح ساحق ..

على كل حال لم يبخل (أدهم) على (جيهان) بالعلاج ، ويبدو أن نفقات علاجها قد تجاوزت الثلاثة ملايين من الدولارات ، وهو مبلغ كاف لصنع واحدة أخرى ..

لشد ما كرهت (منى) ! لشد ما تشاجرت معها أكثر من مرة . ألد عداوة فى التاريخ هى عداوة امرأتين تحبان نفس الرجل .. هذه عداوة ترتجف لها قلوب السفاحين ، وتتوارى الديناصورات خوفا منها ، وتدخل الأفاعى جحورها وهى تهنئ نفسها على السلامة ..

(*) راجع قصة (وجه الأفعى) المغامرة رقم 121

والشعور الذى تشعر به الآن ـ نتحدث عن (جيهان) لا الأفاعى ـ هو نوع خبيث جدًا من الرضا .. على الأقل لن يكون (أدهم) لسواها ..

نحن الآن متعادلتان يا حبيبتى .. هكذا قالت لـ(منى) فى سرها ، وابتسمت ابتسامة خبيثة حاولت أن تخفيها ..

* * *

حين فرغت (سونيا جراهام) من قراءة الرسالة الإلكترونية التى وصلتها ، لم تملك دمعة سالت على خدها الجميل .. كانت تتمتع بخبرة أعوام فى العمل السرى ، وتعرف الخبر الكاذب حين تسمع واحدًا .. لا .. هذا الخبر ليس كاذبًا .. إنه صحيح ..

لقد مات (أدهم) أكثر رجل أحبته ، وأكثر رجل كرهته ، وشعرت بإذلاله فى حياتها .. لقد اعتادت على أن تعتبر الرجال مجرد كائنات حمقاء كثيفة الشعر .. تفوح منها رائحة التبغ عندما تموت ..

أما هذا الرجل فمختلفٌ تمامًا .. إنه جدير بها ..

الحقيقة هى أن (سونيا جراهام) من أجمل الشخصيات التى كتبها د. (نبيل) وأعقدها .. إنها تحوى كل ألوان الطيف ، وكل درجات السلم الموسيقى ، ويمكنك بسهولة أن تصدقها وهى تذبح ضحاياها أو وهى تحب أو تداعب طفلها أو تبكى تأثرًا .. فى قصص الجاسوسية تكون كل الشخصيات أحادية .. إما بيضاء كالثلج أو سوداء كالفحم .. من الصعب أن ترى شخصية رمادية بهذه الجودة ..

كل حياتها كانت صراعا لتدمير (أدهم) ثم للفوز به .. وكانت أجمل لحظة فى حياتها عندما سقط كطفل فاقد الذاكرة فى قبضتها ؛ فتزوجته وأنجبت منه ابنهما .. وحين غضبت منه فعلت كأية زوجة أخرى : (طفشت عند أهلها) .. لكن حين (تطفش) واحدة مثل (سونيا) فإنها تفعل ذلك على طريقتها : تحرق البيت وتأخذ الولد إلى إسرائيل ..

وكانت تعتمد على هذا الابن الذى أطلقت عليه اسم (سولومون أفرام صروف) .. وهو ـ كما ترى ـ اسم يهودى جدًا كأنه شمعدان سباعى ، لكن أقوياء الملاحظة يعرفون أنه يحتوى على حرفى (ألف) و(صاد) ليرمز إلى (أدهم صبرى) لأن عاطفة الأبوة لا تخذل أحدًا .. وقد حاول الرجل أن يسترد ابنه وفشل(*) ..

لحظة .. يقول بعض القراء إننى نسيت أن (سونيا) ماتت فى الفصل السابق .. أقول لهم إنهم هم الذين ينسون أنهم يقرءون قصة مخابرات حيث لا أحد يموت أبدًا .. ظننت هذا واضحًا ..

والأدهى ـ والكلام لـ (سونيا) ـ أن ذلك الأحمق (رائد وهيب) الذى اخترعه جواسيس العالم لا يملك ذرة من سحر (أدهم صبرى) ولا كاريزما (أدهم صبرى) .. إنه بالفعل كما هو : مجرد دمية ..

فلو كانت تجيد العامية المصرية لقالت مثلنا (الانصاص قامت والقوالب نامت) .. لكنها لاتجيدها ..

(★) راجع قصة(نقطة ضعف) المغامرة رقم 127

فقط تتكلم العربية الفصحى الخنفاء ـ بصفتها FoyMat إسرائيلية ـ من وقت لآخر ..

وتنهدت (سونيا) وأدركت أن الحياة من بعد (أدهم) شاقة جدًا .. لايمكن الحياة مع هذا الرجل ، ولايمكن العيش من دونه ..

كان المسدس أمامها على المنضدة جوار الكمبيوتر ، الذى مازالت شاشته تحمل الرسالة الإلكترونية .. وكان الإغراء شديدًا .. لا تنكر هذا .

فى البداية قامت بمسح القرص الصلب أو تهيئته Format تمامًا ، وهكذا أزالت كل ما يمكن أن يجده الفضوليون ، ثم مسحته مرة أخرى ببرنامج من برامج المسح التى يستعملها الجيش الأمريكى ، وتقوم بالكتابة ست مرات على نفس الموضع .. رجل المخابرات الجيد لاينتحر قبل أن يمحو بياناته من الوجود ..


ثم رفعت المسدس والصقته بصدغها ..

ثم رفعت المسدس وألصقته بصدغها ..

وضغطت الزناد ..

ضغطته ببرود ..

وبلا مبالاة ..

وبقوة ..

وبقسوة ..

* * *

٥ ـ أفق ..

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

والسبب هو أن (أدهم صبرى) كان الوحيد الذى يمكن أن يدخل مقر وكالة الاستخبارات المركزية ويخرج حيا .. لكن كان من الواضح أن هذا المتسلل لم يكن رجل المستحيل ..

لقد دوى الانفجار فى المكان ..

رهيبًا ..

شنيعًا ..

عاتيًا ..

كاسحًا ..

مخيفًا ..

وفى النهاية دخل الحراس الأمريكيون المكان ، ليجدوا أن عليهم تنظيف كل هذه الفوضى ، والجدران التى صار لونها أحمر ..

قال الحارس الأول :

ـ « باللّه عليك يا رجل .. اطلب فريق الأمن .. »

وقال الثانى :

ـ « لقد فجر جهاز التأمين المتسلل .. إننى لا أحب هذا المشهد يا رجل لكنى أشعر بأنه ضرورى .. »

وقال الثالث :

ـ « كان يحاول سرقة ملفاتنا يا رجل ولعله نجح .. »

ثم انحنى أحدهم يتفحص الرأس الملقى جوار الباب ، وأصابه الذعر فصاح ينادى الآخرين :

ـ « إنه ليس المتسلل يا رجل .. إنه (مايك) زميلنا .. لقد فجر الجهاز (مايك) زميلنا إن المتسلل هنا فى مكان ما يا رجل .. »

وأدرك الرجال أن المتسلل لم يكن رجلاً عاديًا ..

لقد كان عميلاً خارق القدرات ..

جدًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

قالت (سونيا جراهام) لابنها وهى تحتضنه وتريح رأسها على كتفه :

ـ « لا أدرى إن كان الأمر يمثل لك أهمية ما لكن يجب أن تعرفه .. لهذا جئتك فى المدرسة الداخلية .. »

وبحثت عن الكلمات المناسبة ، وبعد لأى قالت :

ـ « أبوك (موشى حاييم دزرائيلى) قد مات .. »

لم يبد الطفل اهتمامًا ، وقال :

ـ « لقد أبلغتنى بهذا الخبر 4335 مرة من قبل .. وفى كل مرة أعرف أنه حى .. »

ـ « هذه المرة حقيقية .. هذه المرة هى الأهم .. »

وصمتت ..

لم تكن تعرف هل يجب أن تخبره بالتاريخ الكامل لأبيه .. كيف أتعبها وأرهقها طيلة هذه الأعوام ، وكيف تسبب فى طردها من (الموساد) .. وكيف أنها تحبه كما لم تحب أحدًا ، وكيف أنها تمقته كما لم تمقت أحدًا ؛ لكنه ـ الصبى لا الأب ـ مجرد صبى ..

دعه يعش حياته الآن ..

وكانت تعرف أنها ستجعل منه أهم ضباط الموساد .. يومًا ما سيكون أعظم ضابط مخابرات فى العالم .. هذا هو انتقامها الأخير من (أدهم صبرى)[*] ..

سيكون انتقامها الأخير ..

والأخطر ..

والأعنف ..

* * *

(★) راجع قصة (الانتقام الأخير) المغامرة رقم 456

عقد رئيس الموساد حاجبيه وقال لمساعده :

ـ «بوكرتوف شلوم ليكود شلس يبيعوت أحرونوت .»(*)

فابتسم مساعده وهو يتفحص مجموعة من التقارير القادمة من أرجاء العالم ، وقال :

ـ « ها آرتس .. حدشوت . »(**)

قال رئيس الموساد الذى فرغت حصيلته من الكلمات العبرية :

ـ « لا أرى مايمنع من بدء مشروعنا الأكبر الآن .. إن هؤلاء العرب سيجدون أنفسهم فى مأزق .. كنا نخشى أن يعوقنا (أدهم صبرى) لكننا الآن نعرف أنه مات .. »

قال مساعده :

ـ « ربما كانت خدعة ؟ »

ـ « لا .. لاخدعة فى الأمر . لقد حصلنا على البصمات الجينية لبقاياه ونحن متأكدون من نتيجة الفحص فى معاملنا من أن هذه الأشلاء تخص الرجل .. »

(*) أعتقد أن المجال صار مفتوحا أمامنا .

(**) بالفعل يا سيدى .. بعد موت (أدهم صبرى) صار كل شىء ممكنا ..

ـ « فعلها (حاييم) ببراعة . »

ضحك رئيس الموساد وقال :

ـ « والأدهى أن مجموعة (أدهم صبرى) لن تجد إلا أن تعمل مع (رائد وهيب) الوجه الجديد المشرق .. وهم لايعرفون أنه رجلنا .. هكذا سنتخلص منهم واحدًا تلو الآخر .. »

وانفجر يضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

* * *

الآن يتم الاجتماع فى مقر رجال العمليات الخاصة فى عاصمة أوروبية لن أحددها كى لايقاضونى .. المجتمعون هم (منى) و(جيهان) و(قدرى) و(شريف)

و(عادل) و(ريهام) و(حسام) .. ومن فضلك لاتقل إن (عادل) و(حسام) قد ماتا ، فهذا يدل على أنك رجل عادى لا يفهم شيئًا فى الجاسوسية ..

كانت الفرصة ذهبية لأن هذه من المرات القليلة التى لم يخطف فيها (قدرى) ، وكان يستمتع بالتهام بعض الشطائر والعرق يسيل من وجهه الشحيم ، كأنما يحارب لا يأكل ..

وقد قاموا بفتح التلفزيون والمذياع ، كما قاموا بفتح كل صنابير المياه برغم أنهم يعرفون جيدًا أنه لا أجهزة تنصُّت هنا ..

كانت (ريهام) تتسلى بتركيب لغم أرضى ، وهى هوايتها حين تتابع شرحا ما ؛ لأنها تساعدها على التركيز .. وكانت (جيهان) تتسلى بالنظر إلى (منى) فى كراهية من فوق قناع الأوكسجين الذى تثبته من آن لآخر .. وكان (حسام) يتسلى بالنظر إلى (منى) فى وله وهيام .. وكانت (منى) تتسلى بالبكاء فى صمت ..

قال (قدرى) وهو يضغط على زر جهاز العرض :

- « يجب أن نقبل الحقيقة وأن نعود لعملنا .. لقد عودنا (أدهم) على أن ننظر إلى الأمام ، وأن نقبل الخسائر باعتبارها جزءًا من عملنا .. »

وارتجفت شفته السفلى وابتلع دمعة ثم أردف :

- « علينا أن نبدأ العمل دون إبطاء .. هلم يا (حسام) اشرح لنا .. »

أنتم تعرفون أن (حسام) هو بديل (أدهم صبرى) الذى يتحرَّق شوقًا للعب دوره ، وقد فعلها عندما فقد رجل المستحيل ذاكرته .. وعلى الشاشة بدأت اللقطات الأولى التى تمثل صاروخًا ينطلق إلى السماء .. ثم يتخذ ذلك المدار المنحنى ..

قال (حسام) بصوته الراجف قليلاً ، وهو يضع يديه فى خصره :

- « من هذه اللحظة أنا (ن - 2) قائد العمليات ، ولسوف تطيعون أوامرى فى دقة .. إن ما أريده من هذه اللحظة لهو روح الفريييييق ! »

ثم نظر إلى الشاشة حيث كانت صورة الصـاروخ قد اختفت ، لكنه واصل الكلام :

ـ « هذا هو القمر الصناعى الإسرائيلى (أفـق) .. وهو الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأقمار الصناعية التى أطلقتها (إسرائيل) للتجسس على جيرانها .. هنـاك أقمار سقطت وأخرى فشلت مهمة إطلاقها ، لكن هذا النموذج هو الأقرب للنجاح .. »

ثم نظر إلى الجالسين وقال :

ـ « مهمتنا بسيطة جدًا هى تخريب هذا القمر .. هذا معناه إهدار أعوام من البحث والإنفاق بالنسبة للعدو .. بالإضافة إلى تدمير معنوياته .. »

سأله (عادل) وهو يعقد حاجبيه ويخط أشياء فى ورقة :

ـ « هذا كـلام جميـل .. لكن هل لديك اقتراحات ؟ إن القمر فى الفضاء فعلاً .. »

قال (حسام) وهو ينظر له فى ضيق :

ـ « لو انتظرت حتى النهاية لسمعت .. »

ثم تبدلت صورة الشاشة لتظهر رجلاً آسيويًا أصلع لـه شـارب نحيل جدير بوغد ، وقد بدا على وجـه الرجل أنه يعرف الحل ..

ـ « خبير الصواريخ اليابانى (ميكو ناجـازى) .. الذى يطلقون عليه اسم (البروفيسور) .. قام بتصميم الصـاروخ (بوشيدو) القـادر علـى تدمـير أى قمـر صناعى[*] فى مداره .. وقـاعدة الإطـلاق جزيرة فـى جنوب شرق آسيا .. سيكون علينا أن نتواجد هنـاك ونجرى الصفقـة .. ومن دون أن تشـعر بنـا أجهزة المخابرات .. هل من أسئلة ؟ »

سألته (جيهان) :

ـ « نعم .. هل جرب هذا من قبل ؟ كم قمرا صناعيًا دمر من قبل ؟ »

ـ « قدرات الرجل لم تختبر قط .. »

(*) القمر الصناعى هو قمر غير طبيعى وإنما هو مصنوع .

ـ « إذن على أى أساس تثقون به وتعتبرونه (البروفسور) ؟ »

ابتسم (حسام) وقال :

ـ « ليس لدينا الخيار .. إن الصواريخ التى تدمر الأقمار الصناعية لا تباع فى ميدان العتبة لو كنتم قد لاحظتم هذا .. »

ـ « ألا ترى أن فى هذا نوعًا من التهور لا بأس به ؟ »

كان الشريط قد انتهى فأطفأ آلة العرض ليجدوا أنهم فى الظلام التام ، وهنا انفجرت آلة العرض كما يحدث دائمًا مع هذه الشرائط المهمة ، واحترقت الورقة التى فى يد (عادل) تلقائيًا ..

قال (حسام) :

ـ « بلى .. لكن هذه هى مهمة الفريق الذى سيذهب إلى هناك ، والذى لابد أن يتضمن (شريف) خبير الإلكترونيات .. علينا أن نعرف أولاً إن كان الرجل يستطيع .. »

سألته (عبير) التى صارت (منى) :

ـ « وهل نذهب إلى الجزيرة لنخبره أننا جئنا لنرى ما يستطيع عمله ثم نقرر ؟ »

ـ « لا .. الرجل يعرف عنا كل شىء ، وقد مهدت (دونا كارولينا) لزيارتنا بدقة .. أنتم تعرفون أنها مستعدة لعمل أى شىء لـ (أدهم) ورفاقه .. »

قال (قدرى) وهو يلتهم آخر شطيرة فى الطبق :

ـ « ليكن .. الفريق يتكون من (منى) و(شريف) و(حسام) و(ريهام) .. لا أعتقد أننى و(جيهان) سنفيدكم كثيرًا .. »

ـ « التحرك صباح غد .. وإننى لأتوقع منكم أن تعودوا إلى روح الفريق بأسرع ما يمكن .. ومن جديد أكرر يجب ألا يشعر بنا أى جهاز مخابرات ، كما لا أريد أن يشعر بنا ذلك المهرج صنيعة الموساد (رائد وهيب) .. »

وبدت فى عينيه نظرة جادة ..

وصارمة ..

ومقلقة ..

ومتوترة ..

* * *

بينما (سونيا جراهام) تخرج من ذلك الفندق فى (ستوكهلم) ، شعرت شعورًا غريبًا ، إن حاستها السادسة مرهفة ، وقد جعلتها تتوقع هجومًا .. هجومًا ببنادق آلية من أربعة رجال يركبون سيارة ألمانية زرقاء ، وأحد هؤلاء الرجال يعرج نوعًا ويتكلم بلهجة روسية ..

لم تر شيئًا من هذا ، لكنها شعرت به .. إن الجاسوس يجب أن يعرف هذه الأشياء .. لهذا أخرجت مدفع العوزى الصغير الرقيق الذى ربطته بشريط أحمر أنيق ، وكمنت بين السيارات تنتظر قدوم هذه السيارة ..

من هؤلاء ؟ لماذا هى بالذات ؟ لا تعرف .. لكن لها

أعداء بعدد شعر رأسها وكلهم يتمنى أن يراها جثة ملطخة بالدم على قارعة الطريق(*) ..

لكن الهجوم لم يأت من الأمام كما توقعت ..

جاء من الخلف ..

من السيارة التى احتمت بها ..

من النافذة خرجت يد بقفاز حاملة مبضعًا ومرت بالنصل تحت عنقها ..

بدقة ..

بقسوة ..

ببرود ..

بوحشية ..

بشراسة ..

بكراهية ..

* * *

(*) حقيقة علمية ..

٦ ـ جزيرة الجواسيس ..

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

لكن دعنا من (أدهم) قليلاً فهو ليس هنا للأسف ..

راح ربان السفينة ينظر فى دهشة إلى هذه المجموعة من السياح .. لقد رأى أغرب منهم فى حياته ، ولكنه لايفهم ما هو الشىء الجذاب الخارق للعادة فى جزيرة (موكاوا) بحيث يقصدها كل هؤلاء السياح .. لكنه لايسأل .. المهم أن هؤلاء السادة يدفعون .. يدفعون بسخاء ..

يمكنك أن ترى المجموعة .. منهم فتاة شقراء رائعة الجمال يبدو أنها أمريكية ، ويبدو أن الفتاة

التى معها شقيقتها الأقل جمالاً .. وهناك ذلك الشاب الإسبانى العصبى قليلاً ، ثم ذلك الفتى الفرنسى النحيل ذو العوينات .. لا أحد يبدو عليه أنه يعرف الآخر لكن سمة عامة تجمع بينهم .. إنهم عصبيون كالقطط ..

لكن البحارة يتكلمون ، وكانوا يقولون شيئًا عن رجل يابانى يعيش هنا .. رجل خطير ..

خطير جدًا ..

وكانوا يقولون إن كل هؤلاء الذين يأتون هنا رجال مخابرات ، لكنه لم يكن يسأل أسئلة مادام يتقاضى راتبه بالتمام والكمال ..

أمس أحضر هنا رجلين يبدو أنهما من الروس .. كان كل واحد منهما ضخمًا كالثور ، باردًا كالثلج ، وكان من الواضح أنهما خطران لأن أحد البحارة حاول أن يضايق أحدهما فلم يجد أنفه فى موضعه .. هؤلاء الروس يجيدون استعمال المدى حقًا ..

منذ أسبوع أحضر شابًا فارع القامة .. وسيمًا كموديلات الإعلانات .. له تلك الذقن المشقوقة التى تميز أبطال القصص المصورة .. واثقًا من نفسه كرعاة البقر ..

كان الشاب يزعم أنه أسترالى وأن اسمه (دوجلاس) .. لكن ربان السفينة المحنك الذى علمته السنون ، لم ينخدع بهذا .. من الواضح تمامًا أن الشاب يدعى (رائد) ، ومن الواضح أنه إسرائيلى يتظاهر بأنه عربى .. عرف هذا بخبرته على الفور ..

لكنه لم يكن صاحب رأى فى هذه الأمور ..

كل شىء يتساوى ما دام ينال أجره ..

أجره فى النهاية ..

فى النهاية ..

النهاية ..

* * *

ـ « تريدون عشاء ؟ »

التقى حاجبا اليابانى العجوز ، بعدما قال هذه العبارة ، وهو يتأمل هذه المجموعة من السياح فى مطعمه ..

قال له الشاب الإسبانى العصبى :

ـ « نحن نريد طبقًا من (السوشى) .. ولكن من دون (ساكى) .. »

فكر الرجل قليلاً وتأمل الواقفين ، ثم قال فى حذر :

ـ « اتبعونى .. »

ومشى إلى نهاية المطعم الذى كان يعج بالأشخاص المريبين .. يسهل على المرء أن يعرف الجواسيس حين يراهم ، وحقًا كانت جزيرة (موكاوا) القريبة من اليابان هى ملتقى جواسيس العالم .. من الصعب أن تجد هنا مواطنًا بريئًا أو شخصًا أحمق لا يعرف ما أتى به هنا .. وكان الأهالى يطلقون على الجزيرة فيما بينهم اسم (نادى الجواسيس) ..

طبعًا كانت كلمة السر هى (طبق من السوشى بدون ساكى) ، وهو ما كان يؤدى إلى اختلاط الأمور بالنسبة لعدد من السياح العابثين الذين هم - فعلاً - يريدون طبقًا من (السوشى) بدون (ساكى) وعندها كان التخلص من هؤلاء واجبًا .. حقًا لا بد من ضحايا فى هذا العالم الخطر ..

مشى الرجل إلى نهاية المطعم ، ورأت (عبير) - التى كانت متنكرة كشقراء أمريكية رائعة الجمال - نصف دستة من الجالسين يتلصصون فى شوق لمعرفة ما سيحدث .. ورأت أكثرهم يكلم كمه .. أى يتكلم فى جهاز الاتصال المثبت إلى معصمه ..

انفتح باب .. ثم انفتح باب آخر يفضى إلى مخزن للخمور .. ثم انفتح باب ثالث ..

كانت هناك قاعة بلا نوافذ ولا أبواب - غير المدخل - تحيط بها مواسير ماء صدئة ، وبعض الفئران تلعب هنا وهناك ..

قال الإسبانى الذى لم يكن سوى (حسام) :

- « هل سيقابلنا هنا ؟ »

هز اليابانى رأسه فى أدب ثم انسحب من القاعة ..

انغلق الباب خلفه ووقفوا ينتظرون ..

(عبير) لم تحب هذا وذكرها الموقف بالكمائن التى تراها فى السينما .. وكادت تقول هذا ، حين بدأت المواسير تنفجر بالماء ، وأدركت أن المكان معزول تمامًا .. إن الماء يرتفع ..

قالت وهى تنظر إلى الأرض فى رعب :

- « إنه كمين بالفعل ! لقد اقتادنا الرجل إلى كمين .. »

وعقد (حسام) حاجبيه ..

إن الموقف رهيب ..

وخطير ..

خطير جدًا ..

* * *

وضعت (سونيا جراهام) سماعة الهاتف ، وراحت تنظر إلى الجهاز فى توتر ..

لقد كانت المكالمة مهمـة .. صحيح أن هناك نحـو ألـف جهاز مخـابرات قد حصل علـى نصهـا الآن ، لكنهـا لم تستطع الانتظـار حتى تشـغل جهاز تشويه الصوت Scrambler ..

لقد اختفى كل أصدقـاء (أدهم صبرى) .. كلهم غادر الفندق .. وتفرقوا .. ثم لم يعد لهم من أثر ..

أين ذهبوا ؟

لقد مات (أدهم صبرى) بـالفعل ، لكنهـا مـا زالت تعتبره حيًا فى رفاقه وفى فريق العمل الذى كونـه .. ومـا زالت تجد أن من واجبهـا التصدى لأيـة خطـة يزمع هذا الفريق عملها ..

أين هم ؟

بالطبع هم فى مهمة سرية ..

إنها تعرف أن عددًا من الجواسيس اتجهوا إلـى جنوب شرق آسيا لغرض ما ..

وبحاستها التى لا تخطئ أدركت أن هناك شيئًا مـا يدور هناك ، لكن ما هو ؟

لو كانت على علاقة بالموساد لاستشارتهم ، لكنهـا طردت من (الموساد) طردًا مهينًا ، والسبب (أدهم صبرى) الذى لقنها درسًا لا بأس به فى الماضى ..

عليها إذن أن تعمل وحدها ..

إن المعلومة فى هـذا المجـال الذى تعمل فيه تسـاوى الكثير .. تسـاوى الملايين .. وهذا هو عمـل الجاسـوس المستقل الذى لا يعمل لحسب دولة ما ، وإنما يعمل لنفسه ..

يمكن القول دون خطأ كبير إن رفـاق (أدهم) جميعًا فـى تلك الوجهـة الآسيوية ، وعليهـا أن تلحق بهـم هناك ..

رفعت سماعة الهاتف واتصلت بـ (تونـى بورسـالينو) الذى يعمل واجهة لهـا فى كل شىء ..

قالت له :

- « أريد السفر إلى (المكسيك) يا (تونى) .. احجز لى تذكرة على طائرة السادسة مساء بعد غد .. »

طبعًا كما يعرف القراء الخبراء ، معنى هذا أن عليه أن يحجز تذكرة إلى (طوكيو) فى طائرة الواحدة بعد الظهر اليوم ..

ووضعت السماعة وضحكت ..

ضحكت ضحكة ..

ضحكة مرعبة ..

جدًا ..

★ ★ ★

فى وكالة الاستخبارات المركزية ما زال الرجال يفتشون عن ذلك المتسلل الغامض الذى سرق كل ما تعرفه الحكومة الأمريكية ..

قال أحدهم لزميله :

- « هلم يا رجل .. إن هذا الفتى لا يمزح .. إنه محترف .. »

ومشى كل واحد منهم يستكشف أحد الممرات .. وكانوا قد طلبوا الكلب البوليسى الشرس (ساتان) لكنهم عرفوا أنه التهم مدربه اليوم فقط ..

دخل أحد الحراس ممرًا جانبيًا ومسدسه فى يده ، وهو ينظر وراء كل مضخة إطفاء أو منصة صغيرة للهاتف أو أى شىء يوضع فى إدارة المخابرات ..

هنا شعر بشىء غريب ..

نظر لأعلى فوجد جزءًا من سترة رجل تتدلى من بين ألواح السقف المتحرك البلاستيكية .. ابتسم فى سره .. لم تكن خطة سيئة .. بالواقع ليست سيئة على الإطلاق ، لكن ما ينساه المتسلل هو أنهم محترفون ولا يلعبون الـ (بيكا ـ بو) ـ المساكة الأمريكية ـ وهكذا كل ما عليه هو أن يطلق طلقة على هذا الشىء ..

أخرج مسدسه وصوب الفوهة لأعلى ، ودارى ضحكة وحشية ثم أطلق الرصاص من مسدسه كاتم الصوت ..

انفتحت ألواح السقف وتدلى الجسد من أعلى كأنما هو مربوط إلى السقف ..

لكن الوجه الذى رآه لم يكن وجهًا غريبًا .. كان وجه صديقه (وايلدر) .. عرفه برغم أنه مقلوب ..

صاح فى حيرة وذهول :

ـ « لكن ! ما الذى .... ؟ »

هنا خرج عليه شخص ما من وراء مبرد المياه الموجود فى الركن ، وعاجله بلكمة فى فكه ، ثم لف ساعده حول عنقه وضغط بقوة حتى هشمه .. ثم ضربه على رأسه للتأكيد .. ثم ركله فى خصره .. ثم ضربه بسيف يد على كتفه .. ثم هوى بمؤخرة المسدس على رأسه .. ثم أخرج محقنًا مليئًا بالسم أفرغه فى عروقه .. ثم شنقه بحبل .. ثم ربطه إلى سلك كهربى وقام بتمرير 1500 فولت فى جسده .. ثم أطلق عليه عشر رصاصات من المسدس الذى يتسع لست طلقات ..



انفتحت ألواح السقف وتدلى الجسد من أعلى كأنما هو مربوط إلى السقف ..

حدث كل هذا بسرعة المحترفين وبراعتهم ..

ثم إن المهاجم جر الحارس إلى حجرة جانبية كى يخفيه عن العيون ..

عن العيون ..

العيون ..

★ ★ ★

جلست (سونيا جراهام) فى الطائرة تقرأ مجلة أزياء باريسية ، وجاءتها المضيفة بالعشاء فابتسمت لها فى رقة ، وقالت وهى تنظر لساعتها :

- « معذرة .. هل اقتربنا ؟ إننى متوترة جدًا .. »

ضحكت المضيفة وقالت :

- « هل هى المرة الأولى لك ؟ »

هزت (سونيا) رأسها فى توتر .. الحقيقة أن هذه كانت المرة الأولى بعد المليون تقريبًا ، لكن كان الخداع طبيعة ثانية لديها .. فى هذه المهنة لا أحد يعطى معلومات مجانية ..

ومال الرجل الجالس جوارها عليها وقال :

- « لا تقلقى يا (كتكوتة) .. إن الطيران صار أكثر أمنًا من المشى فى شوارع المدن .. »

- « كتكوتة ؟ »

ونظرت له فى غيظ وغل .. كان رجلاً قصيرًا أصلع يبدو مسرورًا جدًا لأنه يستطيع أن يبدو قويًا أمامها ..

من فوق صينية عشائه ، ناولها بطاقة صغيرة وقال :

- « (شارل ميلو) .. محاسب بلجيكى .. »

ثم رشف رشفة من كأسه وراح ينتظر رد فعلها فى شغف ..

أخذت البطاقة ومزقتها بدقة إلى قطع صغيرة وضعتها فى صينية عشائها ، وقالت بجفاء :

- « (مارلين مونرو) .. ممثلة أمريكية .. »

راح يضحك وسال الدمع من عينيه وهو يضرب المسند مرارًا :

- « أنت تمزحين .. هاهاها .. ظريف جدًا .. ظريف ! »

ثم مال عليها من جديد وقال :

- « إن سفر فتاة جميلة مثلك وحيدة ليدفع المرء دفعًا إلى أن يعرض خدماته وحمايته عليها .. أنت تعرفين .. كلما كانت الفتاة (كتكوتة) كان ... »

فجأة تقلص وجهه وجحظت عيناه ..

فك رابطة عنقه وحاول أن يقول شيئًا ، ثم سرعان ما هوى رأسه على صدره بينما رائحة اللوز المر تفوح من حوله .. لقد أدى قرص السيانيد الذى وضعته فى شرابه عمله جيدًا ..

أراحت رأسه على مسند المقعد ، وابتسمت وعادت تطالع المجلة فى اهتمام ..

لاشىء يضايقها فى السفر إلا ثرثرة جيران المقعد ..

لكنها ليست مستريحة ..

حاستها السادسة تقول لها إن شيئًا ما ليس على ما يرام ..

وهى اعتادت أن تحترم حاستها السادسة هذه فلطالما أنقذتها من مواقف أسوأ بكثير ..

هل هناك من يعرف أنها سافرت ؟ ليست لديها أوهام .. لاتوجد أسرار فى عمل الجاسوسية .. إن الأخبار معروفة لكل منظمات التجسس فى العالم ، ولاشك أن جريدة (عالم الجواسيس) نشرت صورتها فى الصفحة الأولى وهى تصعد متنكرة إلى الطائرة ..

لكن هذا لايدل على وجود خطر ما ..

إلا لو كان هنالك من يريد منعها من ...

فى هذه اللحظة دوى الانفجار وانشطرت الطائرة إلى نصفين ..

وسقطت بسرعة رهيبة ..

مفزعة ..

لاتصدق ..

* * *

٧ـ البروفيســـور..

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

هو فقط الذى كان يستطيع إخراج رفاقه من هذا المأزق ..

لقد أفرغ (حسام) الكثير من طلقات الرصاص فى الباب ، وجربت (ريهام) بعض مفرقعاتها على القفل ، لكن بدا أن الباب لن ينفتح أبدًا ..

قالت (عبير) لهم وهى ترتجف :

ـ « لا تقلقوا يا رفاق .. لا بد أن هناك حلاً .. »

لكن من يراها كان يدرك الحقيقة بوضوح تام : لا يوجد حل من أى نوع .. الماء يرتفع حتى بلغ الصدور .. والوقت يمر .. هذه ميتة شنيعة .. ميتة مملة .. ميتة بشعة ..

قال (شريف) الذى لم يعتد أن يوقف عقله أبدًا :

ـ « لكنى لا أفهم .. لماذا يحاول أحد أن يقتلنا ؟ »

التقى حاجبا (حسام) فى نفاد صبر :

ـ « القصة واضحة .. الإسرائيليون يعرفون كل شىء عن نوايانا ورتبوا لنا هذا الكمين .. ربما لا يوجد بروفيسور على هذه الجزيرة أصلاً .. ربما صاحب المطعم مرتش .. النتيجة واحدة .. »

ثم بدت عليه رومانسية مرعبة وهو يقول لـ (عبير) :

ـ « (منى) .. بما أن هذه لحظة الحقيقة فلا بد أن أصارحك بأننى ... »

هنا توقف إذ لاحظ شيئًا غريبًا ..

لقد كفَّ الماء عن الارتفاع ..

قالت (عبير) / (منى) وهى تتحسس المياه :

ـ « لا أدرى إن كانت الأمور تتحسن أم أن هذه هى اللحظة التى يبدأ فيها الماء فى الغليان(*) .. »

(*) الغليان هو الظاهرة التى تحدث للماء عندما يتم تسخينه . ويمكن ساعتها إضافة الشاى أو البن إليه .

لكن كل شىء كان يقول إن الأمور تتحسن .. بعدها بدأ المستوى يهبط ..

ويهبط ..

ويهبط ..

كانت هناك فتحة واسعة قرب القاع كأنها بالوعة أو فتحة ميزاب .. ومنها كان الماء يتسرَّب .. لقد فتحها أحدهم .. وأطل رأس من الفتحة لم يتبينوه جيدًا ، وهتف :

- « بسرعة .. يمكنكم الخروج من هنا .. »

كانوا مبتلين كقطط صغيرة ، لكنهم ركضوا إلى هناك ، وحشر كل منهم جسده عبر الفتحة التى يبلغ قطرها المسافة التى بين كتفيك بالضبط ..

أخيرًا وجدوا أنهم يقفون فى نفق كبير تغمر المياه أرضه .. وكانت هناك سيارة (جيب) تقف بانتظارهم .. أما عن الذى كلمهم فقد كان شابًا فارع القامة .. وسيمًا كموديلات الإعلانات .. له تلك الذقن المشقوقة

التى تميز أبطال القصص المصورة .. واثقًا من نفسه كرعاة البقر ..

قالت له (عبير) وهى تمسح الشعر المبتل عن عينيها :

- « أنت .. أنت (رائد وهيب) .. »

ابتسم فى أناقة على طريقة (جيمس بوند) وقال :

- « فى خدمتك يا آنستى .. »

اندفع نحوه (حسام) مكورًا قبضته وهو يهتف :

- « أيها الوغد ! أنت مجرد عميل ! أنت لن تخدعنا كما خدعت سوانا ! »

- « هل أنت متأكد من هذا ؟ »

قالها (رائد) وهو ينحنى ليتفادى الضربة ثم بحركة (جيدو) بارعة لف ذراعيه حول خصر (حسام) فألقاه على الأرض ، ودفن ركبته فى منبت عنقه ..

ثم التقى حاجباه وقال لهم وهو ما زال حيث هو :

- « لست هنا للدفاع عن نفسى .. هل تريدون لقاء البروفيسور أم لا ؟ »

صاحت (عبير) :

- « نريد .. »

- « إذن تعالوا معى .. »

نهضوا وركبوا السيارة .. وسرعان ما انطلق (رائد) بها عبر النفق الطويل الذى لم تكن تنيره إلا أضواء خافتة على الجانبين .

لم يبد سيئًا بالنسبة لـ (عبير) ، وقالت لنفسها إنه قد لا يكون إسرائيليًا على الإطلاق .. إن حبهم لـ (أدهم) وانبهارهم به قد يجعلهم أكثر عدوانية مع كل من ليس (أدهم) ..

تلاقى حاجباه وهو يقود السيارة وقال لها :

- « فعلاً .. أنت محقة .. »

نظرت له فى دهشة فقال :

- « فعلا أنتم مستعدون لكراهية كل من ليس - (أدهم) حتى لو كان فى صفكم .. هذه هى المشكلة .. »

- « هل تقرأ أفكارى ؟ »

تلاقى حاجباه وقال فى غموض :

- « رجل المخابرات البارع يجب أن يفعل ما هو أكثر .. »

سألته (ريهام) التى كانت منهمكة فى إعداد بعض ألغام الدبابات ، وهى جالسة فى المقعد الخلفى :

- « لماذا تعرضنا لمحاولة القتل هذه ؟ »

قال فى غموض مرة أخرى :

- « كلا .. لم يرد الرجل قتلكم .. كان يريد التأكد من أنكم رجال مخابرات حقًا .. هذا نوع من المرشح

(الفلتر) الذى لا بـد مـن المـرور بـه قبل أن تقابلوا البروفيسور .. إن هلكتم كنتم مـن المدعيـن .. وإن نجوتم كنتم رجال مخابرات ، وصار من حقكم مقابلـة الرجل .. »

- « لكننا رجال مخابرات وكدنا نهلك برغم هذا .. »

- « لكنكم نجوتم .. هذه هى المحصلة الأخيرة .. »

دنت السيارة مـن نهايـة النفق .. وبـدأت الأرض الممهدة ..

عندها زاد (رائد) من سرعة السيارة ..

وخطر لـ (عبير) أنه لو كان يخدعهم فقد فشلت المهمة قبل أن تبدأ ..

إن لهذا تبعات خطيرة ..

خطيرة جدًا ..

* * *

اقترب القـارب مـن الجزيـرة وعلـى ظهـره تلـك الشقراء الفاتنة التى يمكننا أن نتذكرها على الفور .. إنها (سونيا جراهـام) عـدو (أدهم صبرى) اللـدود والتى حسبناها هلكت عند انفجار الطائرة ..

بالنسبة للربان زعمـت أنهـا فتاة فرنسية بلهـاء ، لكنـه كان يعرف ما هو أفضل .. إنه ليس ابن الأمس أو معدوم الخـبرة .. كمـا تقول المجلات المصورة : هؤلاء القوم من النوع الذى يبعث بطاقته على شكل رصاص .. من الواضـح تمامًا أنها جاسوسـة إسرائيلية وأن اسمها (سـونيا جراهـام) وأنهـا كـانت متزوجـة من مصرى فاقد الذاكرة يدعى (أدهم صبرى) ..

قال لها وهو يرسو بالقارب إلى شاطئ الجزيرة :

- « أنت ذاهبة إلى المطعم طبعًا .. »

قالت فى غموض وهى تضع مساحيقها :

- « أنا جائعة .. هذا حقيقى .. »

أسدى لها النصيحة القلبيـة التى يسديها لكل قـادم إلى الجزيرة :

ـ « اطلبى منهم أن يقدموا لك طبقًا من السوشى لكن من دون ساكى .. »

وضم إبهامه إلى سبابته ليوحى بأن الطبق ممتاز ، وأردف بالفرنسية ليوحى بأنه راق :

ـ « إنها (سبيسياليتيه) خاصة بهم .. »

لم يكن يعرف كلمة السر ، لكنه بحماقة كان يزيد من عدد هؤلاء الذين تورطوا فى شبكات التجسس وهم أبرياء ..

هزت (سونيا) رأسها .. إنها بالفعل مولعة بالسوشى خاصة من دون فودكا ..

★ ★ ★

ما زلنا فى وكالة الاستخبارات المركزية ..

لقد تنكر المتسلل فى ثياب الحارس ، وخفض الكاسكيت على عينيه ، ثم مشى فى ثقة بين الرجال الذين يبحثون عن المتسلل ..

سأله أحدهم :

ـ « هل وجدت الرجل يا رجل ؟ »

قال بلهجة أمريكية ممتازة كأن أمه من (فرجينيا) :

ـ « ناب .. لو سألتنى لقلت إن الوغد يجيد الاختفاء .. إنه جيد يا رجل .. فلأشنق لو لم يكن جيدًا .. »

يجب أن يجد المخرج .. يجب ...

مشى فى ذلك الرواق الطويل المفضى إلى الخارج ، وهو يضع فى مشيته كل الاستهتار والثقة الأمريكيين خاصة حين يكون هو من أبناء ذلك المكان ..

قابل مجموعة من رجال (السوات) الذين يرتدون الدروع الواقية للرصاص والثياب السوداء ، وقد حمل كل منهم بندقية آلية مزودة بكشاف .. وثبت على أذنه سماعة تتصل ـ لسبب ما ـ بعدسة مثبتة أمام عينه اليسرى ، وهذه العدسة ترسل أشعة ساطعة ..

لا أعرف جدوى هذا الإجراء فى الحقيقة لكنه يبدو رهيبًا ويصلح لملصقات أفلام الأكشن ..

يبدو أن العالم قد انقلب رأسًا على عقب فى الخارج ، وأن كل قوات الأمن الأمريكية تحاصر المكان ..

سأله أحدهم وهو يقف خلف جدار رافعًا فوهة البندقية لأعلى :

- « هل من أخبار يا رجل ؟ »

قال وهو يقذف لفمه بقطعة أخرى من اللادن :

- « يا للجحيم .. ناب .. إن الرجل اللعين جيد .. لأشنق إن لم يكن جيدًا .. لكننا سنظفر به ونركل الشيطان ليخرج من أحشائه .. سوف نصنع منه هامبرجر يا رفاق .. »

كان هناك رجل زنجى عملاق يرتدى معطفًا، وكل جلده يلمع كأنه حذاء (فيرنيه) فاخر .. لابد أنه رئيس الشرطة .. كلهم زنجى ولا أعرف سببًا لذلك .. كان

يوجه الكلام لرجل من (السوات) يضع (كاسكيت) يغطى نصف وجهه ويبدو متقدمًا فى العمر عن الآخرين :

- « رجالك لا شأن لهم بهذا العمل .. إنه من اختصاص شرطة LA »

- « وأنا أقول لك إن رجالى سيتولون من هنا .. »

دفع الزنجى إصبعه فى صدر الرجل وقال :

- « لن أسمح لكم بالتدخل .. أنا أعرف عملى جيدًا .. »

وضع رجل (السوات) يده فى جيبه وصاح :

- « إن مكالمة واحدة لـ (جون مايرز) ستكلفك منصبك .. لن تجد ... »

الخ .. الخ .. هذا المشهد يحدث فى كل الحلقات التلفزيونية وكل الأفلام إلى حد أنه لا داعى لتضييع الوقت فى سرده .. لعل ما يميز فيلمًا مثل (مولان روج) أو (الرقص مع الذئاب) أنك لن تجد فيه هذا الموقف ، ولهذا تفوز هذه الأفلام بجوائز الأوسكار ..

هنا صاح أحد رجال (السوات) وهو يشير إلى الذى يمر جوار الرجلين :

- « لحظة يا رجل ! إن هذا الرجل لا يلبس حذاء رجال الأمن ! »

وقبل أن يفهم أحد ما حدث ركع رجال (السوات) على ركبهم وانطلق سيل من الطلقات ..

لم يعد أحد يرى شيئًا من الدخان ..

كان الهجوم عنيفًا ..

كاسحًا ..

بحق ..

* * *

الآن تغير المشهد تمامًا ..

لم يصدق أحدهم ما رآه حين بدأت السيارة الجيب تشق طريقها وسط مساحات شاسعة من الأرض .. كل شىء فيها يبدو كمعسكر حربى ، لكن الغريب فى الأمر

هو أنه لم تكن هناك سماء .. السماء كانت شبكة هائلة ضيقة الفتحات ؛ تتعلق بعشرات الأوتاد العالية التى يبلغ ارتفاع الواحد منها عشرة أمتار .. وكانت هناك أضواء معلقة بالأوتاد ، بينما الشبكة تحمل جذور نباتات تتدلى ..

قال (رائد) وهو مستمر فى القيادة :

- « كاموفلاج ! تمويه .. إن هذه الشبكة تبدو من أعلى كأنها قطعة متجانسة من أرض الجزيرة ، ولا تستطيع أية طائرة استطلاع أو قمر صناعى أن يتنبأ بوجود هذا المعسكر تحت .. ولو عرف الأمريكان بهذا لدك المكان كله خلال ساعة .. »

قالت (عبير) :

- « لكن الجزيرة تعج بالجواسيس .. »

- « تعج بالجواسيس المستفيدين .. هذه نقطة .. ثم إن أكثرهم لا يعرف طريقة الوصول هنا .. »

ومن خلفها دنا (حسام) ليقول فى ولع :

- « (منى) .. كدت أعترف بحبى لك فى القبو لأننى حسبتها لحظة النهاية .. و ... »

قالت محاولة التخلص منه :

- « لكنها لم تكن كذلك .. لا مشكلة .. كلنا يخرف عندما يشعر بأنه لا مفر .. »

- « إن (أدهم) صديقى .. لكنه قد مات . وهذا يعنى أن علينا أن ... »

كانت أنفاسه لزجة كأنفاس (الوولفرين) .. وودت لو لكمته فى أنفه كى يكف عن الرومانسية قليلاً .. هنا جاءها الفرج فى صورة أحد الكمائن ..

كان هناك عدد كبير من الحراس الآسيويين الذين راحوا يتفقدون العربة كلما انطلقت مائة متر .. وهم حراس يلبسون ثيابًا متباينة لا توحى بالالتزام أو النظام .. بعضهم كان يلبس كرجال الصاعقة مع خوذة على الرأس ، والبعض كان يربط عصابة على رأسه ، والبعض

كان عارى الجذع يربط مئزرًا على نصفه الأسفل .. لكنهم جميعًا كانوا شرسين .. يسهل معرفة أن هذا ليس جيشًا نظاميًا بل هم مرتزقة(*) .. فكان (رائد) يلوح بيده ، ويقول شيئًا ما فى كل مرة ..

أخيرًا تتوقف السيارة أمام الكوخ ..

ترجلوا جميعًا وهم متوجسون ، لكن حارسًا آسيويًا دنا منهم وقال شيئًا ما ..

- « البروفيسور ينتظرنا .. »

دخلوا الكوخ حيث لم يكن هناك ما يثير الخيال من الأثاث أو الأجهزة .. فقط كانت هناك منضدة عليها زجاجة شراب ، ويجلس إليها رجل آسيوى أصلع بشارب يوحى بأنه وغد ، يلبس بدلة تدريب الكاراتيه ، ويضع على عينيه نظارة (بانس نيه) غليظة من الطراز الذى يثبت على الأنف مباشرة .. وله أسنان أرنب واضحة .. بينما يمسك فى يده

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) . المغامرة رقم 84

بمنشة للبعوض .. باختصار كان مجرم حـرب يابانيًا من الطراز الذى اعتادت السـينما الأمريكية تقديمـه ، حين كانت تطلق على اليابانيين اسم (جابس) .. لقد تقدم فى السن كثيرًا عما كان فى الصورة .. لا بد أنه فى السبعين الآن .. لكنه ما زال يبدو وغدًا ...

كـان هـذا هـو البروفيسـور (ميكوناجـازى) شخصيًا ..

اليابانى ..

الخطير ..

الذى ..

جاءوا ..

من ..

أجله ..

* * *

٨ ـ بوشـيدو ..

عقد رئيس الشرطة حاجبيه ، وهو ينظر إلى الردهة الخالية التى بدأ الدخان ينقشع عنهـا .. والتى لم يعد يرى فيها أحدًا إلا ثقوب الرصاص التى ملأت الجدار ..

قال لرجال (السوات) :

ـ « توقفـوا يا حمقى .. لقـد تبخـر الرجل بفعل كل هذا الرصاص .. »

لكن قائد (السوات) قـال وهو يغطى وجهـه بفعل الدخان :

ـ « لقد احترقت عيناى .. سأبتعد عن هنا .. »

ـ « قلت لك إن رجالك أغبياء .. »

ـ « إنهم أسرع من قدرتك على الملاحظـة .. لقد فعلوا كل شىء بينما أنت لم تفهم ما يدور أصلاً .. »

صاح الزنجى وهو يفتح ذراعيه :

- « الرجل لم يتبخر .. لقد فر .. »

لكن أحد رجال (السوات) دخل الغرفة المجاورة ، وعاد حاملاً ذراعًا ، كانت ذراع الرجل ..

وقال لرئيس الشرطة :

- « من الواضح أنه لم يفر أيها المفتش .. لقد بعثرت رصاصاتنا أشلاءه فقط .. »

فى هذه اللحظة دخل قائد (السوات) الحجرة الجانبية ، فأعاد تنسيق شكل الرماد الذى بعثره على شعره .. لقد كانت ضربة موفقة أنه تنكر بهذا الشكل بسرعة وقبل أن يصل الآخرون .. لم يكلفه شيئًا سوى أن يلعب دوره بثقة . أما القائد الحقيقى فهو سجين فى خزانة التنظيف ..

أما البائس الذى مات لأنه يرتدى حذاء غير قانونى ، فلا شأن له به ..

الآن يجب أن يغادر المكان بسرعة ..

اتجه إلى نهاية الردهة حيث باب الخروج عالمًا أن ثياب (السوات) هذه ستفتح له الأبواب المغلقة .. وفى الخارج كان المكان مسرحًا للمجانين .. أكثر من مائة سيارة مفتوحة الأبواب ، وقد احتمى رجال الشرطة خلف كل منها ، وكانت سيارات نقل الجنود أشبه بوحش خرافى لايكف عن القىء وإفراغ المزيد من (السوات) بالثياب السوداء ..

دنا من أحد رجال الشرطة ، وأخرج لفافة تبغ قدمها له ، وأشعل أخرى وقال :

- « هل من أخبار أيها الزميل ؟ »

قال رجل الشرطة :

- « ياللجحيم .. نلب .. إن الرجل اللعين جيد .. لأشنق إن لم يكن جيدًا .. لكننا سنظفر به ونركل الشيطان ليخرج من أحشائه .. سوف نصنع منه هامبرجر يا رفاق .. »

كان هذا كافيًا كى يعرف أن أم رجل الشرطة من (فيرجينيا) ..

هز رأسه بمعنى أنه يفهم وابتعد ببطء متعمد ..

ابتعد عن دائرة الزحام وبدأ يشعر بأنه يسترد أنفاسه .. ثم دخل زقاقًا خاليًا ..

هنا فقط شعر بفوهة المسدس مصوبة إلى مؤخر رأسه ، وسمع من يقول :

- « لا تتحرك يا (أدهم صبرى) !! »

* * *

- « معذرة على عدم اللياقة لكنكم جئتم فى وقت تدريبى اليومى .. »

قال البروفيسور (ميكو ناجازى) هذه العبارة وهو ينحنى فى أدب ، فأفهمه (رائد) أن آخر ما يريدونه هو مقاطعة تدريبه ..

نهض الرجل وانحنى .. ثم بدأ يتلو صلاة ما باليابانية ..

ثم بدأ يؤدى حركات (كاراتيه) توحى بأنه يقاتل خصومًا وهميين .. كان يتحرك بسرعة ورشاقة وصوت قبضته يمزق الهواء تمزيقًا .. ودخل بعض الجنود



ثم بدأ يؤدى حركات (كاراتيه) توحى بأنه يقاتل خصومًا وهميين ..

يحملون كومة من الخشب والقرميد .. فأطلق صرخة مرعبة وهوى على الخشب ليشطره إلى نصفين ، ثم تناول عودًا من الخشب قذفه فى الهواء وهوى عليه بسيف يده فشطره كأنما هى سكين ..

بعد هذا هوى على القرميد فأحاله إلى غبار أحمر ..

ثم إن الرجال جاءوه بخمس بنادق آلية ، وضعوها على كومتين من القرميد ، فرفع سيف يده وهوى عليها وهو يطلق صرخة الـ (كاييييى) التى تجمد الدم فى العروق .. سرعان ما تهشمت البنادق إلى نصفين ..

ابتلع (حسام) ريقه وقال لـ (عبير) :

- « لا بأس .. بالنسبة لسنه .. »

هنا قذف أحد الحراس بسيف إلى البروفيسور .. سيف (ساموراى) مخيف من الطراز الذى كان الجنود اليابانيون يبترون به أطراف الجنود الأمريكيين فى جزر الملايو ..

أمسك الرجل بالسيف ورفع ساقًا فى الهواء ، وراح يرقص وهو يموء كقط .. ثم صرخ صرخة عنيفة وانطلق كالملسوع ليهوى به على ذبابة كانت على المنضدة فمزق جناحيها دون أن يؤذى جسدها ..

ثم طار فى الغرفة ليهوى على عنق (رائد) الذى لم يفهم ما يحدث ، حتى وجد أن ما بقى على عنقه لم يكن سوى أقدام العنكبوت ، بينما طار الجسد بعيدًا ..

- « لا بأس .. لا بأس .. »

أخيرًا انتهى التدريب .. فانحنى الرجل وعاد إلى موقعه خلف المكتب ، وهو مبلل بالعرق لكنه يشعر بالرضا عن النفس ..

- « معذرة . لكنى أحب أن أكون بكامل لياقتى .. إن السن المتقدمة تقتل .. »

قال له (رائد) وهو يجلس على مقعد أمامه :

- « سرنا هذا العرض .. لكنك تعرف لماذا جئتك وجاء هؤلاء .. وأرى أن نبدأ فى الكلام عن الأعمال .. »

- « آه هاهاها .. الأعمال ! »

سألته (عبير) وهى تجلس على الأرض لأنه لم يكن هناك من مقعد :

- « كم تريد ؟ »

نظر لها (رائد) فى غيظ ، وانحنى ليهمس فى أذنها :

- « لسنا فى سوق العتبة هنا .. الأمور لا تؤخذ بهذا الشكل يا (منى) .. »

ثم انحنى ليسأل الرجل فى حنكة :

- « كم تريد ؟ »

ضحك الرجل كثيرًا كاشفًا عن أسنان الأرنب ، وقال :

- « هاهاها .. خمسة ملايين .. هاهاها .. »

- « هاهاها .. »

- « نعم .. هاهاها .. حساب فى سويسرا »

هنا قرب (رائد وهيب) وجهه منه وقال فى حزم :

- « اسمع .. أنا أكره هذا لكنى لم آت لأشترى منك ولكن لأبيع .. إن لدينا كل الملفات التى تثبت أنك مجرم حرب ، كما أن كل معلوماتنا عن نشاطك فى صنع الصواريخ مدونة .. كل هذه الأوراق فى خزانة فى سويسرا ، ويعرف أمرها ثلاثة محامين سوف يسلمونها للأمريكيين فى حالتين .. »

قال اليابانى فى استمتاع :

- « هى هى .. الحالة الأولى لو لم تعودوا أحياء .. »

- « أنت عبقرى .. والحالة الثانية لو لم تفعل ما نطلبه منك .. لكننا سندفع مليون دولار مقابل خدماتك .. »

نظرت له (عبير) فى إعجاب .. إنه بارع حقًا .. لكم سيشق عليها لو عرفت أنه عميل كما يقال عنه ..

قال اليابانى فى استسلام :

- « لدى صاروخ (بوشيدو) جاهز .. متى تريدون التدمير ؟ »

- « اليوم لو أمكن .. »

- « لا بد من يومين .. »

أخرج (رائد) خنجرًا وغرسه فى المنضدة أمام البروفيسور اليابانى وابتسم .. كانت حركة لا معنى لها إلا استعراض القوة ..

ثم غادرت المجموعة المكان ..

ولم يلاحظوا النظرة التى أرسلها اليابانى من خلفهم ..

كانت نظرة مفزعة ..

مخيفة ..

حاقدة ..

جدًا ..

جدًا جدًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

لو أن أحدًا رأى هذا المشهد لعرف لماذا يلقب (أدهم صبرى) برجل المستحيل ..

لقد نظر إلى الوراء فوجد الأخوين (إيفان) و(يورى إيفانوفتش) رجلى المافيا الروسية الشرسين .. كان كل منهما يحمل مسدسًا ثقيل الوزن ويضحك فى وحشية ..

قال لهما فى برود :

- « أنتما مخطئان .. أنا لا أدعى (أدهم) .. »

قال (يورى) وهو يتفحصه فى اهتمام :

- « أنت لا تشبهه .. لكن منذ متى كانت الملامح ذات أهمية فى عالم الجاسوسية ؟ إن التنكر يفعل الكثير وجراحة التجميل تفعل الباقى .. لكننا عرفنا أسلوبك .. لا أحد يدخل وكالة الاستخبارات المركزية ويسرق كل وثائقها ثم يخرج حيًا إلا (أدهم صبرى) .. لهذا أطلقوا عليه اسم الرجل ..

رجل المستحيل .. »

وقال (إيفان) وهو يمضغ سيجاره :

- « عرفنا أن هناك رجلاً بالداخل وأنه يتمتع بقدرات غير عادية ، لهذا جئنا هنا لنرى بأنفسنا .. ومن الواضح أن وفاتك السابقة كانت مثل كل وفياتك .. مجرد إشاعة .. »

وقال (يورى) وهو يمضغ سيجاره :

- « لكنها ستصير حقيقة بعد ثانية واحدة .. »

قال الرجل الذى نرجح الآن أنه (أدهم صبرى) فعلاً وهو ينظر لما وراء الرجلين :

- « لو كنت مكانكما لنظرت إلى الخلف .. »

ضحك (إيفان) وقال :

- « تلك الحيلة التى كف الناس عنها من عام 1714 .. »

وقال (يورى) :

- « ماذا تتوقع أن يهاجمنا ؟ مذعوب ؟ »

قال فى سخرية :

- « نعم .. »

- « لماذا لا تجد شيئاً أقوى وأكثر تأثيـــ ... »

هنا انقض المذعوب وأنشب أنيابه فى عنقى الرجلين ..

وكانت المفاجأة قاسية ..

مريعة ..

للغاية ..

* * *

٩ ـ المؤامـرة ..

عقد رئيس الموساد حاجبيه ، وهو يقرأ التقارير التى أمامه ثم قال لمساعده :

- « ليلاتوف .. هليلا .. رحبعام زائيفى .. إرييل شارون .. »(*)

قال مساعده وهو يراجع البيانات على الشاشة :

- « إيزاك رابين .. ها أرتس .. كيبور .. »(**)

قال رئيس الموساد وهو يتصفح تقويم الجواسيس :

- « هل هناك مهرجان أو مؤتمر أو عيد قومى للجواسيس هناك ؟ »

- « لا يا سيدى .. »

(*) هذه الأخبار تثير قلقى .. كل زملاء (أدهم) فى جنوب شرق آسيا ..

(**) يخيل إلىّ أن العالم فرغ من الجواسيس .. كل جواسيس الأرض فى تلك الجزيرة الآن ..

- « إن (رائد وهيب) عميلنا هناك لكنه لم يرسل أية تقارير .. بل و (سونيا جراهام) كذلك .. »

ثم عقد حاجبيه وفكر قليلاً ، ثم قال له فى قلق :

- « لا بد من أن تحاول الاتصال بالرجل فورًا .. (رائد) يعرف كل شىء .. لو كانت هناك لعبة ما تحاك ضدنا ـ وكل ألعاب (أدهم) ورجاله ضدنا ـ فأنا أريد أن أعرف فورًا .. »

وغاب فى تفكير عميق ..

عميق جدًا ..

★ ★ ★

دخلت (سونيا جراهام) إلى الكوخ إياه يقتادها ثلاثة من الجنود المرتزقة الآسيويين ، وكان اثنان منهم قد عميا للأبد ، بينما الثالث ينزف بسبب جروح طولية عميقة فى وجهه ..

قالت وهى تضع قبضتيها فى خصرها :

- « (ميكو) أيها الأحمق .. ألم تجد حراسًا أفضل من هؤلاء ؟ إن جثتى كانت ستؤدى المهمة بشكل أفضل .. »

نهض مبهوتًا وانحنى فى احترام :

- « (سونيا) .. (سونيا جراهام)[*] ! بعد كل هذه الأعوام ! »

قال أحد الحراس :

- « إنها شرسة كالنمر يا سيدى .. وقد التهمت حنجرة (سايوزاكا) .. لقد لحق بالأجداد .. »

قالت فى اشمئزاز :

- « أجداده .. كلاب البرية . »

لثم البروفيسور يدها فى انبهار وهو يطرى جمالها الذى تزيده السنون تألقًا ، ثم أمر الحراس الذين صاروا من ذوى الحاجات الخاصة بالانصراف ، ودعاها إلى الجلوس ..

قالت وهى تصب لنفسها بعض الساكى :

- « لديك رجال مخابرات عرب هنا .. »

(*) راجع المغامرات من 1 إلى 135

هز رأسه فى ضيق .. فعادت تسأله :

- « الأمر يتعلق بصاروخ .. أعتقد أنه (بوشيدو) .. أليس كذلك ؟ يريدون نسف قمرنا الصناعى .. »

هز رأسه من جديد .. ولم يعلق .. إنها كالعادة تعرف كل شىء ..

قالت وهى تبتلع ما فى قدحها الخزفى مرة واحدة :

- « أنت لن تفعل .. »

- « بل سأفعل مضطرًا .. »

- « مهما كان ما لديهم من أوراق فإن ما لدى أقوى .. ولسوف أنسفك نسفًا .. لو علم الأمريكيون أنك ... »

هنا كان اليابانى الصبور قد فقد أعصابه .. انتزع سيفه البتار المعلق على الجدار ، وصرخ :

- « الأمريكيون .. الأمريكيون ! لم أعد أتحمل أكثر ! سمعت الكلام ذاته عشر مرات اليوم ! »

وقبل أن تفهم ما يحدث كان قد أطاح بعنقها من فوق كتفيها بضربة واحدة ..

واحدة فقط ..

* * *

افترس المذعوب الرجلين ، بينما الرجل - الذى يبدو أنه (أدهم صبرى) - يتراجع فى الزقاق ..

لكنه اصطدم بشىء كما يحدث دائمًا .. كانت هناك صفيحة قمامة وضعها أحمق ما فى طريقه ، وقد قلبها .. وهكذا وجد نفسه على الأرض بينما المذعوب يعبر فوق الجسدين الممزقين ، والدم يتساقط من بين أنيابه المفزعة ..

قادمًا نحوه ..

هو بالذات ..

مد الرجل يده فى سترته وأخرج المسدس الصغير ..

أحكم التصويب ثم سدد بين عينى الوحش ..

وأطلق الرصاص ..

استقرت الرصاصة فى رأس الوحش ؛ فأطلق ضحكة ساخرة ، ثم أدرك أن الأمر ليس مزاحًا .. إن هذه الرصاصة فضية .. لقد خدع ! أطلق عواء مفزعًا ثم سقط على الأرض ومات ..

وفى اللحظة التالية بدأ يعود لطبيعته البشرية ..

وتنهد الرجل الساقط على الأرض ..

كان من حسن التصرف أن يحمل معه مسدسًا به رصاص فضى .. هذه هى طبيعة عمل المخابرات .. يجب أن تحتاط لكل شىء حتى للقاء مذعوب فى زقاق مظلم .

الآن يجب أن يفر من هنا ..

يجب أن يسلّم ما معه من صيد ثمين ..

هنا رأى من يظهر عند مدخل الزقاق ..

كان يحمل مدفع بازوكا عملاقًا على كتفه(*) ..

وأطلق الرصاص ..

وأطلق النار ..

(*) البازوكا أداة حربية تطلق طلقات البازوكا ..

ورأى الرجل كتلة من اللهب قادمة نحوه ..

بسرعة ..

بسرعة لا تصدق ..

على الإطلاق ..

* * *

قالت (سونيا جراهام) وهى تعقد حاجبيها :

- « الآن بعد ما هدأت نوعًا يمكن أن نتكلم .. أصدقاء (أدهم صبرى) هؤلاء لن يحصلوا على الصاروخ .. »

قال لها اليابانى وهو يمارس رياضته اليومية :

- « ولكن كيف ؟ إنهم سيدمروننى .. »

قالت ضاحكة :

- « دعك من لعبة الوثائق هذه .. إننى أعرف كيف أحصل على تلك الوثائق التى تقلقك وأحرقها أمامك ..

بل يمكن أن أدبر حادث قتلك كى يعتبرك الأمريكان ميتًا .. »

قال لها وهو يضرب الهواء بسيفه :

- « هل سيفعل الموساد هذا ؟ »

مطت شفتها السفلى فى اشمئزاز وقالت :

- « أنا لا أعمل مع جهاز الحمقى هذا .. لقد طردت منه ، والحقيقة أننى الذى طردتهم من عالمى .. أنا أتكلم عن عمل مستقل .. جاسوسية القطاع الخاص .. »

ثم وقفت ووضعت يديها فى خصرها وقالت فى كبرياء :

- « قدراتى التنظيمية + صواريخك هذه .. بهذه الطريقة يمكن أن نحكم العالم من هذه الجزيرة .. تصور أنا وأنت تهتز لنا الدول وتنحنى العروش .. »

- « والعرب ؟ »

قالت فى برود :

- « أصدقاء (أدهم صبرى) والجاسوس الإسرائيلى الذى يحسبونه عربيًا .. يجب أن يتلقوا العقاب المناسب ، وأنا أعرف أنك لا تحتاج إلى عونى فى أمور بسيطة كهذه .. »

وانفجرت تضحك ..

تضحك ..

تضحك ..

* * *

قال (حسام) لـ (منى) - التى هى (عبير) - وهو يمسك بأطراف أناملها :

- « كما قلت لك لقد كان (أدهم) صديقى .. لكن للحب أحكامه وأنا اليوم لا أشعر بتأنيب ضمير لو صارحتك بهذه الحقيقة .. إننى ... »

استردت يدها فى حياء ، وهى تفكر فى الطريقة المثلى للخلاص من هذا اللزج اللحوح ..

قال (رائد) وهو يحلق ذقنه فى المرآة الصغيرة :

- « فيما بعد يا (روميو) يمكنك أن تعبر عن خلجات فؤادك .. لكننا اليوم فى فم التنين حرفيًا .. »

كانوا يقيمون فى خيمة عسكرية جدًا منحهم البروفيسور إياها ، ولم تكن مريحة على الإطلاق لكنهم كانوا يعتبرون مهمتهم على وشك الانتهاء ..

نظرت له (عبير) فى انبهار ، وقالت لنفسها إنه من المستحيل أن يكون إسرائيليًا .. حرام أن يكون إسرائيليًا أو حتى عميلاً لأى جهاز آخر .. إنه يعرف ويجيد كل شىء ..

قال (رائد) وهو مستمر فى حلاقة ذقنه :

- « يجب أن تتظاهروا بالاسترخاء .. »

نظر (حسام) إلى (شريف) الذى كان راقدًا على الأرض يغط دون توقف ، وقال :

- « لا أعتقد أنه يمكننا التظاهر بالاسترخاء أكثر من هذا .. »

- « هذا جميل .. لأننى أرى فى المرآة مجموعة من المهاجمين ، وهم قادمون ليذبحونا طبعًا لأنهم يحملون السيوف .. لا تنظر للوراء .. (ريهام) .. أين (ريهام) ؟ »

نهضت (ريهام) من رقدتها على الأرض فى كيس نومها ، وتساءلت وهى تفرك عينيها :

- « ماذا ؟ »

- « هل قمت بما طلبت منك ؟ »

- « أنت طلبت 41567 طلبًا .. فأيها تقصد ؟ »

- « الألغام الأرضية المضادة للأفراد .. هل هى جاهزة ؟ »

- « جاهزة .. »

- « جميييييل .. »

وجفف نقنه وابتسم فى المرآة ليرى كم هو جميل .. فى اللحظة التى صار أقرب المهاجمين على مسافة مترين من الخيمة .. وعلى الفور دوت الانفجارات .. وارتجت الأرض ..

صاح (رائد) وهو يضع المنشفة على كتفه :

- « هلموا يا شباب ! تذكروا تعليماتى .. لا تدوسوا إلا على المواضع التى حددتها بصخور فوسفورية .. »

الحقيقة أن الألغام كانت تحيط بالخيمة من الجهات الأربع .. وكان على من لا يريد أن يفقد ساقيه أن يتعلم كيف لا يمشى إلا على الأحجار .. لقد قضوا أول ليلة لهم يزرعون هذه الألغام تحت جنح الظلام ، ولكن كان على (ريهام) أن تنزع عنها التفجير فى الصباح وتعيده ليلاً ..

وخرج الأصدقاء من الخيمة محاذرين ؛ ليروا الرجال وقد سقط عدد لا بأس به منهم فى الخارج .. بعضهم اشتعلت النار فى ثيابه فراح يصرخ ..

كانوا يلبسون مثل (النتجا) بالضبط ، ويبدو أن هذه من التقاليد اليابانية المحببة .. لا تقتل أحدًا إلا وأنت تلبس ثياب النتجا(*) ..

(*) راجع قصة (سلاحف النتجا) .. المغامرة رقم 455

واندفع أحد الرجال نحو (رائد) وهو يصرخ ويطوح بالسيف البتار فى الهواء .. لكن (رائد) بادره بركلة قوية فى فكه أسقطته أرضًا .. ثم لف المنشفة حول عنق آخر وقربه منه ليلكمه فى عنقه ..

وهجم واحد ثالث على (عبير) لكنها ثنت ركبتها لتضربه فى أسفل البطن فاندفع الهواء من فمه .. بينما أفرغ (حسام) مسدسه فى أربعة أو خمسة رجال ..

كان الهجوم قد أحبط بالفعل ..

ووقف الأصدقاء يرمقون ضحاياهم فى رضا ..

وقال (رائد) وهو يواصل تجفيف ذقنه :

ـ « لم يعد القتلة يجيدون عملهم كما كانوا فى الماضى .. لقد صارت المهنة متاحة لكل من هب ودب .. »

ثم سألهم وهو يعود إلى الخيمة :

ـ « استنتاجات ؟ »

قالت (عبير) وهى تلحق به فى حذر :

ـ « البروفيسور خاننا .. »

ـ « هذا واضح .. لكن لماذا تجاهل تحذيرنا له بفضح أمره ؟ »

قالت (ريهام) :

ـ « لأن لديه ورقة أقوى .. أو لأن ضده تهديدًا أقوى .. »

وفى صوت واحد فكر الجميع :

ـ « (سونيا جراهام) هنا ! »

* * *

اندفعت طلقة البازوكا نحو الرجل الذى نعتقد أنه (أدهم صبرى) ..

لكنه فى اللحظة الأخيرة تلوَّى ، وارتمى على الأرض ، فانطلقت القذيفة لتصطدم بالجدار من خلفه وتحدث فجوة عملاقة ..

أخرج مسدسه وصوبه نحو حامل البازوكا ، وأفرغ طلقتين .. ولم يحاول معرفة شخصية مهاجمه .. فقد مات على كل حال .. انضم إلى ملفات الماضى التى لا تهمُ أحدًا سوى حفار القبور ..

ولم يحتج إلى ما هو أكثر .. استبدل بثياب (السوات) ثيابًا عادية تمامًا ..

وسرعان ما كان يركض عبر الشوارع المظلمة ..

وصل إلى المطار فى الوقت المناسب ، وليس معه من متاع إلا حمله الثمين وجواز سفر باسم (ويليام سلفورد) وتذكرة الطائرة ..

دخل إلى الحمام فغسل وجهه بعناية .. إن مغامرة اليوم كانت مرهقة إلى حد ما ؛ فلا بأس بأن يغسل وجهه .. لكنه لم ينس أولاً أن ينزع قناع (كوزمو) المطاطى الملتصق بالجلد ، وينزع محرف الصوت Scrambler الملتصق بحنجرته .. وينزع القفاز الذى يحمل بصمات مدير وكالة الاستخبارات المركزية ..

تأمل وجهه فى المرآة ..

ثم نظر (سيرجى كوربوف) إلى ساعته . لقد حان وقت اللحاق بالطائرة ..

لقد قام بعمل جيد الليلة وسرق مستندات غاية فى الأهمية ، وقد تذكر ما قام به مع (أدهم صبرى) من عمل جميل فى الماضى ..

لكنه بحاجة إلى النوم ..

الطائرة لا تمثل له إلا فراشًا مريحًا جميلاً ..

وابتسم ..

راضيًا ..

عن .

نفسه ..

* * *

١٠ـ انطلاق (بوشيدو) ..

دوى صوت المكبر يهيب بالرجال أن يبدءوا إجراءات الإطلاق ..

وفى مقر قيادته تحت الأرض وقف البروفيسور (ميكو) يراقب الشاشات التى تظهر له مسرح العمليات ، بينما وقف خلفه (رائد) و(منى) و(حسام) و(ريهام) وكلهم يصوب فوهات المسدسات إلى رأسه ..

قال لهم وهو يعرق ككيس خبز ساخن فى ثلاجتك :

ـ « إن (سونيا) ستجن .. »

قال (رائد) وهو يلصق فوهة المسدس أكثر :

ـ « نحن سنجن أكثر لو لم تفعل .. وخطرنا أدهى وأقرب من خطرها .. »

ثم غمز بعينه لـ (عبير) وقال :

ـ « ثق من أنها لن تضايقك الآن ! »

قال اليابانى المعذب وهو يضغط بعض الأزرار :

ـ « أنتم لا تعرفون .. إن هذه المرأة أخطر من ألف فوهة مسدس مصوبة إلى رأسك .. أحيانًا أعتقد أن الموت بالرصاص أفضل لى .. »

وفى مكبر الصوت راح يتكلم باليابانية ..

وعلى أكبر الشاشات ظهر (أفق) .. القمر الصناعى الإسرائيلى الذى يتجسس على الدول العربية كلها .. كان برىء الشكل يبدو كأى قمر صناعى آخر .. هذه ستون مليونًا من الدولارات تنتظر فى الفضاء ..

أصدر الرجل أمرًا آخر باليابانية ..

وعلى الفور بدأت مظلة التعمية تتراجع إلى الوراء ببطء شديد .. ببطء ..

شديد ..

شديد ..

شديد ..

ثم بدأت المحركات تهدر .. بينما الأرض تنفتح ليبرز الرأس المدبب ، ثم الجسد الكامل للديناصور الغافى المختفى عن عيون العالم ..

إنه يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

الآن يبرز بالكامل فوق السطح ليطل برأسه .. وكانت مظلة التعمية (الكاموفلاج) قد توارت بالكامل الآن فعاد المعسكر كما هو بالضبط : معسكر لإطلاق الصواريخ ..

هتفت (عبير) وهى ترتجف انفعالاً :

- « هذا لا يصدق .. من يشك فى هذا ؟ »

قال (رائد) باسمًا :

- « العالم كله يشك فى هذا .. لا أعرف سرًا أكثر نبوعًا من هذا .. لكن لا أحد يقدر على إثبات شىء .. »

ثم مال على البروفيسور وقال :

- « أظن أنه لا داعى لأن أذكرك بأننا لا نحب الألاعيب .. هه ؟ »

لكنه كان مطمئنًا .. البروفيسور لم يعد يبالى الآن إلا بأن تنجح المهمة بدقة .. لا شىء يعادل لذة أن ينطلق الصاروخ ويدمر القمر الصناعى ..

وقرب العالم فمه من مكبر الصوت وراح يهدر بكلمات يابانية .. ثم بالإنجليزية ..

- « إخلاء .. إخلاء .. سيبدأ العد التنازلى حالاً .. »

وتحولت المحطة إلى خلية نحل .. خلية نحل دب فيها وباء قتل كل ما فيها ..

صفارات الإنذار تهدر بينما الوحش يتخذ زاويته الصحيحة ..

وأخيرًا بدأ العد التنازلى ...

عشرة ..

تسعة ..

ثمانية ..

سبعة ..

الخ .. الخ ..

اثنان ..

واحد .. اشتعال !

وامتلأ المكان بالدخان ، ولم يعد أحد قادرًا على رؤية يده .. فى البدء بدا الصاروخ كأنه يتسلق ببطء ثم بدأ يصعد بسرعة على غرار تلك العادة السخيفة للصواريخ ، أن تبدو بطيئة لحظة الإطلاق .. كان لدى كتاب فيزيائى يفسر هذه الظاهرة لكنه ضاع منى .. التفسير والكتاب معًا ..

تصايح الجميع وهللوا وصفقوا ..

هنا سمعوا من يقول فى برود :

- « انتهى الحفل أيها العرب .. »

وانطلق الرصاص ليقتل (حسام) و(قدرى) ..

(أعرف أن قدرى لم يأت أصلاً لكنكم لا تفهمون عمل المخابرات كما يفهمه المحترفون) ..

وكانت المفاجأة رهيبة ..

كاملة ..

للغاية ..

* * *

كانت واقفة على الباب وفى يدها مدفع العوزى الرقيق .. لكن رقبتها كانت تتدلى على كتفها كأنما هى دمية ماريونيت تمزق خيطها .. وكانت لها عين ناقصة وبضعة أطراف أخرى ليست فى مكانها الصحيح .. فقط بقى منها ما يكفى لتمسك المدفع ..

صاحت (عبير) فى هلع :

- « الويل ! (سونيا) تحولت إلى زومبى ! »

قال (شريف) فى رعب :

- « إذن لصارت أقل خطرًا وأكثر رقة .. »

قالت (سونيا) وهى تنقل عينها الوحيدة بين الموجودين :

- « أنتم وضعتم لى هذا اللغم أمام خيمتى أمس .. لحسن حظى وسوء حظكم لم أمت .. لن تموت (سونيا) قبل أن تحولكم إلى عصيدة .. »

ثم نظرت إلى الشاشة حيث كان الصاروخ يشق أجواز الفضاء ، ونظرت إلى اليابانى فى حقد :

- « يا أحمق .. أنت أضعت آخر سبب يحفظ عليك حياتك .. »

هنا دق الهاتف المحمول فى جيبها .. لا تعرف (عبير) كيف ظل سليمًا بعد هذا كله ، فمدت يدها ووضعته على أذنها بينما عينها الوحيدة لا تفارق الواقفين ..

- « من ؟ (بورسالينو) ؟ مشغولة بالقتل كما تعلم .. ماذا تقول ؟ هل تهذى ؟ دخل مقر وكالة الاستخبارات المركزية وغادرها حيًا وغانمًا ؟ قتل الأخوين (إيفانوف) ؟ لابد أنه هو .. بالتأكيد هو .. »

وقذفت بالهاتف فى الهواء وصاحت فى مرح :

- « (أدهم صبرى) حى .. أنا متأكدة من ذلك ! شوهد فى (واشنطن) أمس .. فعل كل ما كان (أدهم) يفعله .. كنت أعرف أنه حى .. حى ! »

وراحت تصفف شعرها المحروق فى انبهار .. وبصقت بعض الأسنان المهشمة ..

- « سأعرج أولاً على باريس لأجمل نفسى .. سأحتاج بعض جراحات زرع العيون والأطراف .. لكنى سأكون فى أبهى صورة حين أعود إليه ! »

ثم ألقت بالمدفع وغادرت الخيمة متعجلة ..

لكنها لم تنس أن تطل برأسها مرة أخيرة لتوجه عينها الوحيدة شطر البروفيسور :

- « لم ننته بعد أيها الأحمق .. سأعود إليك وسنمرح كثيرًا !! »

فلما غادرت المكان راح البروفيسور يلطم الخدين ..

وراح يصلى باليابانية وينادى الأجداد .. فقط قال بالإنجليزية :

- « (سونيا) توعدتنى بالهلاك .. أنا بطة ميتة ! »

ثم قال لـ (رائد) :

- « لن تكون هناك مشاكل فى التحكم الصاروخى .. كل شىء سيتم بدقة فلم تعد بكم حاجة إلىَّ !! سايونارا ! »

وقبل أن يفهم أحد ما حدث ، كان قد جلب سيفه البتار إياه ، وجثا على ركبتيه وأغمد السيف فى بطنه بالكامل على طريقة (الهاراكيرى) الشهيرة ..

لقد انتحر كى لا تفتك به (سونيا) !

وفجأة نظر الأصدقاء إلى الشاشة ..

كان الصاروخ الآن يخترق القمر الصناعى .. وتناثرت النيران والشظايا فى مشهد كونى رهيب ..

مشهد مخيف ..

جميل ..

جليل ..

مرعب ..

رهيب ..

* * *

عندما نزع (رائد وهيب) قناع (كوزمو) عن وجهه ومعه جهاز تغيير الصوت المثبت إلى حنجرته ، وعندما رأى الجميع أن هذا هو (أدهم صبرى) نفسه انفجروا فى البكاء ..

مر ربع ساعة عليهم بين البكاء والعويل ، ثم قالت (عبير) :

- « لقد فقد فريق الشجعان (حسام) و(قدرى) .. »

قال (أدهم) فى ثقة :

- « لاتقلقوا .. لا أحد يموت فى قصص الجاسوسية .. لقد مات (حسام) من قبل .. وماتت (سونيا) كثيرًا .. »

سألته (ريهام) وهى تتسلى بإعداد قنبلة نيوترونية :

- « ما قصة موتك هذه ؟ أعرف أنك مت 4356 مرة من قبل ، لكن هذه بدت أقربها إلى الحقيقة .. »

قال (أدهم) وهو يداعب فوديه اللذين خطَّهما الشيب :

- « كنت أعرف مؤامرة الجواسيس لاستبدال شخصية عميلة بى ، ولعبت لعبتى كى أبدو ضابطًا فى الموساد .. وتم اختيارى لأكون (رائد وهيب) .. هكذا ظنوا أننى رجلهم بينما كانوا فى قبضتى تمامًا .. لكنى كنت بحاجة إلى تبرير اختفائى بشكل منطقى مقبول وإلا تساءل الناس عن سبب اختفاء (أدهم صبرى) بمجرد أن ظهر (رائد وهيب) إلى الوجود .. ثم مات عميل روسى فى إحدى العمليات فى لوس أنجلوس .. لهذا قررت أن أتظاهر بأننى من مات .. أرسلت عينة من أنسجتى للمعامل الإسرائيلية كى يعتقدوا أننى القتيل .. وجعلت صديقى الروسى (سيرجى كوربوف)

ينقل لكم خبر وفاتى .. يجب لكى تنجح العملية أن يعتقد الجميع فى صدقها حتى أقرب أصحابى لى ..

- « تمكنت عن طريق هذا التنكر أن أعرف خطط الأعداء كلها ، ودمرت عشرات المنظمات التى أسلمتنى أسرارها طواعية .. بل وسبقتكم إلى هنا حين عرفت بنيتكم فى تدمير القمر الإسرائيلى .. »

ثم تذكر شيئًا فمد يديه إلى أذنيه ، وانتزع القالبين المصنوعين من اللاتكس ، وقال :

- « استعملت قالبى أذن (حسام) لأننى خشيت أن تعرف (سونيا) بالأمر .. »

سألته (عبير) فى انبهار :

- « ولكن .. من الذى فعل المعجزات فى واشنطن كما تقول (سونيا) ؟ »

- « لابد أنه (سيرجى كوربوف) .. إنه بارع لا أحد ينكر هذا .. المهم أنه أعطى (سونيا) والقراء انطباعًا زائفًا بأننى من فعل هذا كله .. وأتمنى أن أرى وجهها حين تعرف الحقيقة .. »

ثم ابتسم ونظر لهم وقال :

- « الآن هل نعود إلى البيت ؟ »

* * *

فقط (عبير) لن تعود إلى البيت ..

لقد جاء المرشد يعبث بقلمه الجاف الزنبركى ، وينتظر حتى تفرغ من الكلام مع (أدهم صبرى) ، فلما فرغت حيا الواقفين بأن هز رأسه بطريقته السمجة ، وقال لها :

- « أرى أنك استمتعت بوقتك حقًّا .. الآن حان وقت الرحيل .. »

هزت رأسها فى استسلام ومشيت معه مغادرين الجزيرة(*) ..

قال لها وهو يجد السير :

- « كما ترين تملك هذه القصص كل عناصر الجانبية ..

(*) الجزيرة مساحة من الأرض يحيطها الماء من كل الجهات ..

فيما مضى لم يكن لدى الشاب الذى غادر مرحلة الطفولة شيئًا يقرؤه .. كان عليه الاختيار بين (شرشر) وبين أفكار (العقاد) الفلسفية شديدة التعقيد .. لم يكن هناك أدب وسيط .. ثم جاء الأستاذ (محمود سالم) بمغامريه الخمسة ، وقدَّم حلاً فائق الشعبية .. بعد هذا بأعوام جاء د. (نبيل فاروق) وخطا خطوة أكبر ..

أكبر بكثير ..

بكثير جدًّا .. »

قالت له باسمة :

- « ألاحظ أننا غادرنا القصة ولم تزل تتكلم بالطريقة ذاتها .. »

تلاقى حاجباه وقال فى غموض :

- « إنها طريقة مميزة ..

مميزة جدًّا ..

جدًّا .. »

* * *

في القصة القادمة تقابل (عبير) أخوين صنعا عالمًا لا ينسى ..

عالمًا خاصًا ..

جدًّا ..

جدًّا ..

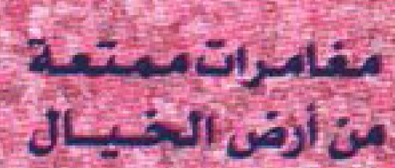
جدًّا ..

* * *

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب





اسمه أدهم



د. أحمد خالد توفيق

من هو البروفسور ؟ هل يستطيع (حسام) تدمير القمر الصناعى ؟ من هو (رائد وهيب) ؟ أين اختفى (أدهم صبرى) ؟ كم الساعة الآن ؟ لماذا عاد (إيفان إيفانوفتش) للحياة ؟ لماذا تختنق الأسماك لو غادرت المياه ؟ كم قرشًا فى الجنيه ؟ ما سر (سونيا جراهام) ؟ اقرأ هذه الرواية لتتعرف إجابة كل هذه الأسئلة وربما أكثر ...

مطابع
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

القصة القادمة
فى مملكة الأخوين